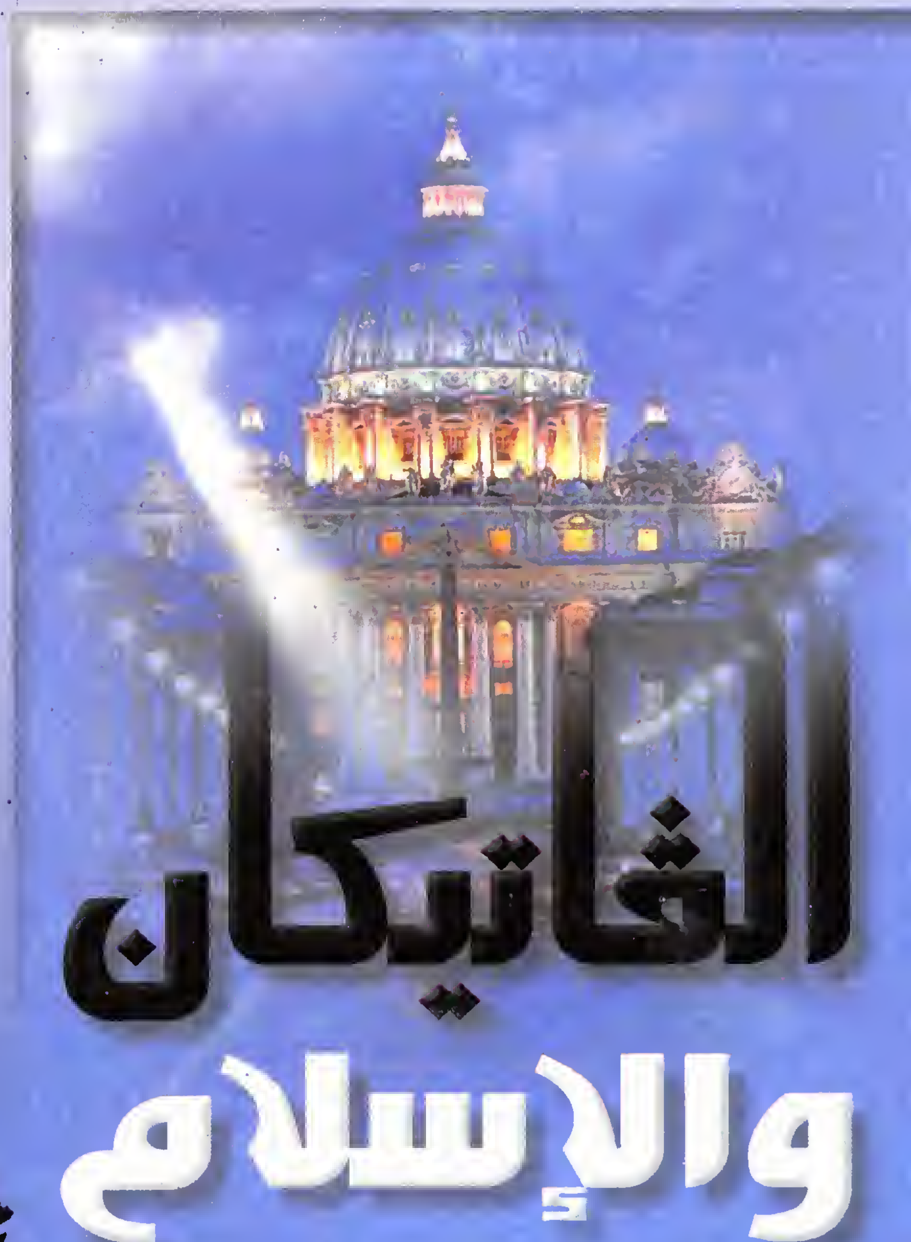
7

أ.د. زينب عبد العزيز

صليبية الغرب وحضارته



الفاتيكان والإسلام

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

صليبية الغرب وحضارته

7

هذه السلسلة : تتناول العديد من القضايا التى تدخل تحت مسمى التعصب الكنسى وحربه الصليبية ضد الإسلام لإلقاء مزيد من الضوء عليها وكشف القناع عنها ...

الفاتيكان والإسلام

- الكتاب دراسة كاشفة لموقف الفاتيكان الحقيقى من الإسلام والذى يتعامل مع الإسلام والمسلمين بوجهين: وجه يدعو للحوار والتعاون الإنسانى، ووجه يتخذ كافة التدابير لاقتلاع الإسلام من العالم .. فإذا ما كان ذلك الموقف المزدوج غير الواضح عند اتخاذ القرار عام ١٩٦٥، فإن كافة الأحداث تؤكد تلك الهجمة الشرسة الضارية التى يحاصرون بها الإسلام تحت بدعة (الحوار) والذى يعنى بالنسبة للفاتيكان: فرض الارتداد والدخول فى سر المسيح ..

- إنها وثائق دامغة صادرة عن التعصب الكنسى الذى كل ما يعنيه هو كسب الوقت من خلال بدعة الحوار بين الأديان إلى ان تتم عملية تنصير العالم التى حددوا لها هذا العقد الأول من الألفية الثالثة ..

الناشر

W.Salama 010 15 17 873

I.S.B.N. 977-376-080-4





7

صلبية الغرب وحضارته

الـڤـاتيكان والإســلام



اسم الكتاب: الفاتيكان والإسلام

اسم المؤلف: أ. د. زينب عبد العزيز

المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبد الرؤوف سعد

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٦٥٠٦/ ٢٠٠٤

الترقيم الدولي: I.S.B.N. 977-376-080-4

جمع اليكتروني: فور إتش ت: ٠١٠/٦٦٧٤٣٣٥

تصميم الغلاف: وائل سلامة

التنفيذ الفني: أحمد وليد ناصيف

الإشراف الفني: محمد وليد ناصيف

الإشراف العام: أ. أسعد بكرى كوسا

الطبعة الأولى

٢٠٠٥

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

URL: http://www.daralkitab.net

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى هاتف: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ٣٤٨٢٥ فاكس: ٢٢٤٧٢٩٧

مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٣٩١٦١٢٢

E-mail:darkitab2003@yahoo.com

صلبية الغرب وحضارته

الفاتيكان والإسلام

أ. د. زينب عبد العزيز

الناشر
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

مقدمة

تمثل الإصدارات الكنسية بعامة، والخطب الرسولية بخاصة، مجالاً شديد الأهمية، إذ إنه يعكس الموقف الدينى للغرب. ذلك الموقف الذى أصبح ملاصقًا للموقف السياسى، بل ومحركًا له بصورة لا سابقة لها. ولقد ارتبط مفهوم السلطة السياسية بالسلطة الكنسية منذ أولى خطوات الاستعمار، وتواكبت جهود الآليات الحربية والعسكرية، بآليات المبشرين والمستشرقين؛ لتنضم إليها - حاليًا - فرق المفكرين والمثقفين.

إلا إن ما يدور على الصعيد العالمى من منتصف الستينات، لم تعد أحداثه بحاجة إلى إثباتات وأدلة. فما على المرء إلا أن يتابع مجريات الأمور؛ ليدرك التحالفات الغربية التى تمت منذ فجر التاريخ، الذى يمثل نهاية انعقاد المجمع المسكونى الفاتيكانى الثانى (١٩٦٢ - ١٩٦٥) ذروته المتفردة، وليدرك كيف أصبح الفاتيكان يمثل قوة محركة رهيبة للأحداث السياسية.

فلم يعد المسئولون عن تلك الدولة يخفون تدخلاتهم، بل لقد أصبح البابا يقولها صراحة: «إن الكرسى الرسولى يسعى إلى التدخل لدى حكام الشعوب والمسئولين عن مختلف المحافل الدولية، أو الانضمام إليهم بمحاورتهم، أو إخضاعهم على الحوار لمصلحة المصالحة وسط صراعات عديدة».

ولم يعد خافيًا على أحد، كيف تضافرت الجهود السياسية والكنسية لاقتلاع اليسار، لا كبديل للراسمالية، وذلك ليس بسبب نظامه الاجتماعى

الاشتراكى فحسب، وإنما لإلغائه الوجود الكنسى برمته ومنعه من استخدام النفوذ الدينى بغية التوصل إلى مكاسب اجتماعية. وما أكثر المراجع التى تناولت هذا التضافر الحميم بين الكرسى الرسولى، والمخابرات المركزية الأمريكية والأيادى المتواطئة المحلية، والتى سرعان ما يبادرون بفضح دور تواطئها.

كما لم يعد خافيًا على أحد كيف تتضافر الجهود السياسية والدينية لاقتلاع الإسلام، كبديل للمسيحية التى تم تحريفها عبر المجامع على مر العصور، فلقد تصدعت أركان الكيان الكنسى بسبب كل ما فرضه على أتباعه من تحريف، لم يعد معه المتلاعبون بقادرين على درء ما قاموا ولا يزالون يقومون به من «قلفطة» فى العقيدة التوحيدية المنزلة، لعدم تمشى هذه الانحرافات مع الواقع ومع كل ما تم، ويتم اكتشافه من وثائق تدين هذا التلاعب بصورة جعلت الزمام يفلت من أيديهم، الأمر الذى جعل الأتباع، بل وكبار العاملين فى الجهاز الكنسى يتباعدون عنه فى صمت لتفادى العواقب التى يعرفونها، وليست الاغتيالات بأفدحها! مما جعل المعنيين بالأمر يصفونه فى مؤلفاتهم بعبارة «النزيف الصامت للكنيسة»!

وبدلاً من أن يعدل المحرفون عما اقترفوه من تحريف فى عقيدة التوحيد، والرجوع إلى الحق الذى أنزله الله - سبحانه وتعالى - ها هم يتضافرون للإجهاز على الإسلام والمسلمين؛ لكى لا يجد المنشقون عن تحريفهم عقيدة أخرى يلجأون إليها، فما من مسيحى يلجأ إلى اليهودية، وإنما يهرع إلى الإسلام؛ لذلك كان القرار الذى تم اتخاذه فى مجمع الفاتيكان الثانى، الذى نص - من ضمن ما قرر - على توحيد الكنائس تحت لواء كاثوليكية روما، «ففى الاتحاد قوة» على حد مقولة البابا لهم لقبول التنازلات المطلوبة «لتوحيد الصف فى مواجهة العدو» الذى هو الإسلام.

وقرر المجتمع تبرأة اليهود من دم المسيح، كما ظلوا يرددون فى كل

قداس «أحد» لمدة ألفى عام تقريباً، وهى مصالحة سياسية بحتة لتوحيد الصفوف فى مواجهة الإسلام، فلا يزال اليهود على موقفهم، من حيث رفضهم الاعتراف بالمسيح إلها، ورفع سبة العار عن أمه، التى اصطفاها الله، إذ قال سبحانه ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٤٢). بينما يواصل اليهود وصف حملها بالزنا!.

كما قرر المجمع اقتلاع اليسار فى عقد الثمانينيات، واقتلاع الإسلام فى عقد التسعينيات. من القرن الفائت وهو ما يتم حاليًا على الصعيد العالمى برمته، وليس فى البوسنة والهرسك، أو غيرها من الساحات التى تدور على أرضها تلك المجازر المهينة، إذ إنها تتم بكل أسف بفضل تواطؤ المسلمين، أو صمتهم المخزى سواء أكانوا حكامًا أم محكومين.

وإذا ما كانت عملية اقتلاع الإسلام تتم قديمًا، أو حتى فيما بعد منتصف الستينيات، فى صمت وخفاء، فمنذ عام (١٩٨٢م) أصبحت تتم فى وضح النهار، وتعلن على صفحات المراجع والجرائد والمجلات، وذلك بعد أن أعلنها «البابا يوحنا بولس الثانى» صراحة مطالبًا بضرورة «إعادة تنصير العالم» بمعنى أن يبادر بتنصير البلدان التى كان يقتلعها من براثن الإلحاد، قبل أن تدخل فى الإسلام، واقتلاع الإسلام، حتى لا يبقى على الصعيد العالمى سوى كاثوليكية روما!

وأكثر ما يلفت النظر فى الوثائق التى نتناولها بالبحث هنا: المفهوم الجديد الذى يضفيه الكرسى الرسولى على عملية التنصير نفسها، والمفهوم الجديد الذى يضفيه على عبارة: «الحوار»، تلك العبارة التى تعد بمثابة الآلية الجديدة؛ التى يتلفعون بها لاقتلاع الإسلام.

ذلك أن عملية التنصير لم تعد قاصرة على قطاع المبشرين والمستشرقين فحسب، وإنما لقد فرضها البابا فى خطابه المعنون: «رسالة الفادى» (١٩٨٧م) على كافة أتباع المسيحية، أينما كانوا وأياً كان انتماؤهم

العقائدى، وذلك بموجب تعميدهم، واستنادًا إلى تضحية السيد المسيح وافتدائه «البشر أجمعين» وفقًا لآخر ما توصلت إليه الأيادى العابثة فى المجمع الفاتيكانى الثانى، الأمر الذى يعنى استخدام الكنائس المحلية، وكافة أتباعها فى هذه العملية، التى أصبحت تتم تحت راية الحوار.

أما الحوار نفسه، فلم يعد مفهومه مثلما جرى العرف، على أن يتبادل طرفان المناقشة الموضوعية، والتى تحسم لصالح الأرجح منطقيًا، وإنما أصبح الحوار يعنى فى نظر الكرسى الرسولى: «فرض الارتداد والإجبار على الدخول فى سر المسيح» مع مراعاة الاحترام، والود، ومظاهر التقدير، ومع مراعاة عدم الدخول فى مناقشات عقائدية، لم يعد بمقدور المبشرين الإفلاتُ منها أو التغلب عليها، لذلك يوصى المخططون بالبحث عن نقاط مشتركة، سواء فى العبادات، أم فى المظاهر اليومية، واستغلالها كمنافذ للتسلل من خلالها للنيل من الإسلام.

وحيث إن مجال الإصدارات الكنسية، والخطب الرسولية، لم يجذب انتباه أئمة المسلمين ومفكريهم، ولم يتطرق إليه إلا النفر القليل، إن لم يكن النادر، وحيث إنه أصبح يمثل جبهة هجوم لم يعد من الممكن تغافلها، أو عدم الاستعداد لها، فقد آثرنا تقديم عدة نماذج من هذه الوثائق العلنية المنشورة بعدة لغات؛ ليدرك المسئولون وليدرك كل مسلم وغير مسلم ما تحكيه الأيادى العابثة المتعصبة بالعقيدة التوحيدية، وذلك بمواصلة تحريف المسيحية من جهة، وبمحاولة اقتلاع الإسلام من ناحية أخرى.

لذلك قمنا بعرض وتلخيص وترجمة أهم الفقرات فى كل وثيقة، واستخراج محاورها الأساسية، والرد عليها بقدر معلوماتنا، وفى حدود إمكاناتنا، فليس من باب المبالغة أن نقول: إننا فعلاً - كمسلمين - خاضعون حاليًا لحرب صليبية كاسحة، تستخدم فيها كافة إمكانيات العصر الحديث من تقنيات ووسائل إعلام، إلى جانب ملايين المسيحيين، الذين ينحرفون

جهلاً، أو عن عمد بغض الطرف عما يفرضه عليهم المحرفون من العيش والتعامل مع المسلمين بوجهين: فالتسلل البطئ المطلوب منهم القيام به، والتلفع بالأدب الظاهرى، والود، والتقارب المفتعل؛ ما يطلبه المتعصبون، لا اسم آخر له، سوى النفاق، والغش، والخديعة.

ولن نكفَّ عن ترديد: إنه ليس المطلوب من أحد أن يغير عقيدته، لكن المطلوب هو أن نحيا جميعًا وفقًا لما أنزل الله، وليس وفقًا لما نسجه المحرفون، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ (المائدة:٤٤) ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ (المائدة: ٤٧) ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤) ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ...﴾ (النحل: ٦٤) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾ (البقرة: ١٥٩).

فلا إكراه فى الدين – فى الدين الحنيف، فقد قال تعالى: ﴿...فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف:٢٩) ومع ذلك لن نكف عن ترديد قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ...﴾ (آل عمران: ٦٤).

من أوربان الثانى
إلى
يوحنا بولس الثانى

من أعظم الملامح الدالة على سماحة الإسلام: أنه ينهى عن القتل إلا دفاعاً عن النفس؛ بل إن القرآن الكريم يأمر بالصبر، أولاً فى مواجهة الاضطهاد، ويقترن الأمر بالصبر بالإعراض الجميل عن المشركين وأفعالهم، لكن حينما يزداد الاضطهاد ليصل إلى درجة المحاصرة؛ بغية الامتصاص حتى فقدان الهوية، أو الطرد والقتل حتى الإبادة، وحينما تصل الفتنة إلى المطالبة علنًا، والعمل صراحة على رد المسلمين عن دينهم، فهنا يصبح الدفاع عن النفس ضرورة حتمية؛ للدفاع عن الإسلام وكيانه، أى إن مبدأ الدفاع يصبح مشروعًا وجهادًا فى سبيل الله.

ويحدد لنا القرآن الكريم نوعية القتال فى سبيل الله بوضوح لا لبس فيه، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة: ١٩٠).

﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ١٩٤).

وتنص الآية على رد العدوان فقط، وعدم الاعتداء، أى أن يكون الرد فى حدود وقف عدوان المشركين، ومنع استمرار اضطهادهم للمسلمين.

ومن ناحية أخرى يوضح لنا القرآن الكريم: كيف أن الفتنة، ومحاولة رد المسلمين عن دينهم تعد عند الله - عز وجل - أكبر من القتل، إذ تقول الآية ﴿...وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا...﴾ (البقرة: ٢١٧). لذلك نرى حدود الرد على الفتنة منصوصًا عليها بوضوح أيضًا، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٩٣).

وما يدور من أحداث على الصعيد العالمى لم يعد بحاجة إلى أدلة أو براهين: فاضطهاد المسلمين حتى الموت، ومحاولة ردهم عن دينهم خطان متوازيان، يقودهما تيار التعصب المسيحى فى تضافر رهيب، وفى إيقاع

محموم لا سابقة له فى التاريخ. ولا نقول شيئًا عن القياس بمقياسين والكيل بمكيالين. لذلك آثرنا أن نتناول الوضع الذى نعيشه من خلال هذا البحث.

من الثابت تاريخيًا أن محاربة الإسلام قد بدأت منذ أول ظهوره وبداية انتشاره، بل هناك من الأبحاث والمراجع ما يثبت أن محاربته قد بدأت قبل ظهوره، بكل ما جرى من تبديل وتحريف فى المجامع، بدءًا بتأليه السيد المسيح؛ لغلق باب النبوة على سيدنا محمدﷺ[1] حتى تنصيب السيدة مريم العذراء وجعلها «أم الله»، فى الخمسينيات من القرن الماضى.

أما محاربة الإسلام رسميًا وبتضافر جماعى، فقد بدأت مع الحروب الصليبية التى شنها البابا أوربان الثانى، اليهودى الأصل[2] الذى أعلن قيامها «باسم الرب» فى مجمع «كلير مونت» عام (١٠٩٥م).

ولا يتسع المجال هنا لتناول هذه الحروب الصليبية التى كانت مزيجًا من الخطط العسكرية، والصراعات السياسية، والعقائدية، والاقتصادية، التى لم يشهد لها التاريخ مثيلاً، ولا يتسع المجال لتوضيح كيف أنها كانت محاولة من جانب البابا - فى صراعه مع الإمبراطورية - ليمنح نفسه سلطانًا على شعوب أوربا وقادتها، من ملوك وأباطرة، وأكليورس؛ ليعيد للعالم المسيحى وحدته، من خلال العمل العام والهدف المشترك. ولا كيف أنها كانت تهدف إلى جانب ذلك كله: إلى تحويل الوطن العربى إلى وطن أوربى، فيما وراء البحار، والعرب إلى لاتين كاثوليك، وذلك عن طريق السيف[3]، وهو المخطط الذى لم يخب أبدًا، بل أخذ يزداد اشتعالاً، حتى بلغ الذروة فى العقد الأخير من القرن العشرين.

(١) راجع بحثنا «محاصرة وإبادة، موقف الغرب من الإسلام . دار الكتاب العربى.

(٢) فى القرن الحادى عشر تمكنت أسرة يهودية اسمها البير ليونى من السيطرة على العرش البابوى أكثر من مرة، وكان آخر ما قدمته هذه الأسرة: البابا أوربان الثانى، الذى بشر بالدعوة إلي الحروب الصليبية. انظر: الحروب الصليبية، د. سهيل زكار، ص ٢١، دار حسان، دمشق (١٩٨٤م).

(٣) انظر: المرجع السابق: ص ٢٥.

ومنذ ذلك الوقت، لم تكف محاربة الإسلام، وإن اختلفت المسميات وتنوعت الأساليب؛ إلى أن كان المجمع المسكونى الفاتيكانى الثانى عام (١٩٦٥م) الذى نتخذه نقطة تحول نرتكز إليها فى هذا البحث، فقد أسفر هذا المجمع عن قرارين أساسيين لا سابقة لهما فى التاريخ فيما يتعلق بالديانات غير المسيحية، وهما: تبرئة اليهود من دم المسيح، وإقرار مبدأ التحاور مع الإسلام لاقتلاعه.

ولسنا هنا بصدد مناقشة الموقف الكنسى المزدوج من هاتين الديانتين، ولا الكيل بمكيالين حتى من حيث الشكل، فقد تم الاعتذار شفاهة للمسلمين، بينما تم الاعتذار، والتأسف لليهود كتابة عن كل ما بدر من أحقاد، واضطهادات، ولا يتسع المجال هنا لتوضيح، أو لمناقشة كيف أن المصالحة مع اليهود قد تمت، بناء على كثير من التحايلات، والمغالطات الدينية، ولا كيف أن هذه المصالحة كانت لأغراض سياسية بحتة. الأمر الذى نطالعه فى العديد من المراجع، ومنها: «إن السكرتارية الخاصة بالوحدة بين الكنائس قد نجحت، بعد حملة مكثفة من جمع المعلومات فى إقناع الحكومات العربية؛ بالمرمى الدينى البحت فيما يتعلق بالإعلان الخاص باليهودية[1] أى أنها مصالحة سياسية بحتة قد تمت من أجل توجيه المزيد من الطعنات للإسلام.

ولقد أهاب المجمع عينه بالجميع: أن ينسوا الماضى،: وأن يعملوا باجتهاد صادق، سبيلاً للتفاهم فيما بينهم، وأن يتماسكوا من أجل جميع الناس، لحماية وتعزيز العدالة الاجتماعية، والقيم الأدبية والحرية». ويؤكد هذا البيان نفسه الصادر فى أكتوبر (١٩٦٥م) على: «أن الكنيسة تستنكر كل تفرقة، وكل عنف يقع على الناس بسبب الجنس، أو اللون، أو الطبقة، أو الدين، لأن ذلك يخالف روح المسيح..».

(1) Encyclopédie Universalis. Paris, Vol. 16 ومنها هذا الكتاب - G. Thomas: **Dans les couloirs du Vatican,** Stoc, Paris, 1983.

ويا للفرق بين الاستنكار الشفهى، وتلك الأفعال التى تدور على أرض الواقع؛ لتطلخ التعصب المسيحى بدماء الأبرياء وتغرقه حتى الركب..! فالمرء يصاب بالهلع من كل تلك الحروب العنصرية؛ الناجمة عن التعصب، وخاصة تلك التى وقعت، أو بدأت فيما بين عام (١٩٦٥م) ويومنا هذا، وتحولت المعارك إلى مجازر لإبادة المسلمين مثلما حدث فى مسرحية «البوسنة والهرسك»، أو فيما حدث فى: الهند، وبورما، والفلبين، والصومال، وفى غيرها، على الصعيد العالمى، فى تضافر زمنى واحد، وكلها تحت اسم الدين! فهل هذا هو ما سمى باستنكار العنف الذى يخالف روح المسيح؟

إن الفرق بين التصريحات المعلنة التى تمخض عنها ذلك المجمع، وبين ما يدور فى الواقع منذ ذلك التاريخ حتى يومنا هذا، لا يمكن وصفه بمجرد الكيل بمكيالين فحسب، إذ إنه يكشف عن وجه قبيح للتعصب الكنسى، ما كنا نرضى له أن يوصم المسيحية التى هى – فى الأصل – دين محبة وتسامح. فهذا التعصب يتعامل مع الإسلام والمسلمين بوجهين:

وجه يدعو للحوار، والتعاون الإنسانى تحت زعم التقارب.

ووجه يتخذ كافة التدابير، لا لاقتلاعه من أوربا فحسب، وإنما من العالم بأسره قبل نهاية عقد التسعينيات! وهو ما أصبحنا نطالعه فى أكثر من مرجع. وكأن الحوار أصبح يعنى المماطلة وكسب الوقت حتى التمكن من كيل الطعنات. ولا نقول هنا شيئًا عن العلمانية التى تحاربها الكنيسة فى الغرب وتفرضها بمختلف الوسائل على البلدان الإسلامية.

ومن أكثر المتناقضات لفتًا للنظر؛ ذلك الكم المتتالى من رسائل السلام الصادرة عن الفاتيكان، والتى تتغنى به، وتنشده، بينما المعارك الدامية دائرة بمساندة هذه المؤسسة نفسها فى العلن وفى الخفاء[١].

فالدور السياسى الذى يقوم به البابا يوحنا بولس الثانى، لم يعد خافيًا

(١) ولا نذكر هنا سوى ما ورد بخطاب چون ميجور.

على أحد؛ بل لقد راح البعض يصف السياسة الخاصة للكنيسة الكاثوليكية، بأن أداتها هى: «التكتيك الرسولى» الذى لخصه البابا فى عبارة واحدة، وهى: «إعادة تنصير العالم» "La Réevangelisation du Monde" وهو ما قام بإعلانه على الملأ عام (١٩٨٢م) فى كمبو ستيل (مدينة شانت يقب) بأقصى شمال غرب إسبانيا.

ويمثل هذا الإعلان، ومطالبة البابا بتنصير العالم، نقطة تحول جذرية، تعد بمثابة إعلان حرب صليبية جديدة، تماثل تلك التى أعلنها البابا أوريان الثانى عام (١٠٩٥م). فمما له مغزاه، أن هذه المدينة هى آخر ما امتد إليه الفتح الإسلامى. وقد ازدادت أهميتها بعد القرن الحادى عشر ومعركة «الاسترداد» لتصبح مزارًا يحج إليه مسيحيو الغرب.

بغض الطرف عما فى هذا الإعلان من مغالطة سافرة سنعود إليها عما قليل، إلا أنه لابد من الإشارة إلى أن نفس ذلك التاريخ عام (١٩٨٢م) يمثل أيضًا، إنشاء حزب «تضامن» فى بولندا. وهو بمثابة أول معول هدم للكيان الشيوعى الذى كان البابا بولس الثانى قد اتفق مع أجهزة المخابرات الأمريكية للقضاء عليه فى عقد الثمانينيات.

ومبدأ الدفاع الشرعى عن الإسلام يحتم علينا أن نطرح حقيقة الموقف، وأن نتناول جوهر الموضوع بصراحة واضحة حتى يتسنى لنا - كمسلمين - اتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة ما يحاك للإسلام والمسلمين فى إيقاع وتضافر جماعى محموم.

وجوهر الموضوع، الذى يبدو وكأن الجميع يغضون الطرف عنه، والذى يعد من القضايا الأساسية التى لابد من مواجهتها، هو: أن المسيحية لا تعترف بالإسلام، وإن لم تكن هذه المعلومة بجديدة، إلا أننا أصبحنا نطالعها فى كثير من نصوص ما بعد مجمع الفاتيكان الثانى. وقد لخص الأب «ميشيل لولنج» هذه الحقيقة قائلاً: «إن الكنيسة تعتبر المسيح خاتم الرسالة، لذلك

فهى لا تعترف بنبى الإسلام الذى أدانه المسيحيون بصورة سلبية، تهجمية وعدوانية» والمؤلفات العديدة - بكل أسف - تشهد على ذلك[1].... كما يوضح موريس بوكاى من ناحية أخرى قائلاً: «إن المسيحية لا تأخذ فى الاعتبار أية ديانة بعد المسيح ورسله. وبذلك فهى تستبعد القرآن»[2]....... وكان الأب «كاسبرار» قد أوضح الموقف بنفسه قائلاً، ذلك أيام المجمع الفاتيكان الثانى: إن هناك من بين رجال الدين الحاضرين من يعتبرون أن الإسلام خطأ مطلق لابد من رفضه، لأنه يمثل خطرًا بالنسبة للكنيسة، ولابد من محاربته[3].

ولا يتسع المجال هنا للرد على هذه الفريات والمغالطات، ولا لتوضيح كيف أنه من الثابت، تاريخيًا، أن السيد المسيح قد تم تأليهه فى القرن الرابع، وكيف أن كل ما تم من تحريف، وتبديل للعقيدة المسيحية، على مر القرون، وفى مختلف المجامع، قد حاد بها عن أصولها الأولى، وكيف أن الإسلام قد أتى كاشفًا لهذا التحريف، ولاغيًا دور رجال الكهنوت، ووساطتهم بين الإنسان وربه. فكلها حقائق يعرفها جميع الأطراف. إلا أننا نود هنا التأكيد على ذلك الإصرار الغريب، على التمسك بما اقترف من تزييف، والإصرار الأكثر غرابة

(١) والأب ميشيل لولنج: من الأعضاء البارزين فى «جمعية الحوار الإسلامى ـ المسيحى» الكائنة فى باريس، وهو من الكتاب الموضوعيين نسبيا، وقد كان منذ عشر سنوات تقريبًا، فى زيارة إلى لبنان، وعاد منها مصابًا بالهلع مما رآه فى تلك المحن البشعة: التى يتعرض لها الأبرياء هناك على يد اليهود.

ومما يؤسف له أن يضطر هذا الأب إلى كتابة مقال يستنكر فيه ما كتبه آنذاك، ويعلم الله ـ تحت أية ضغوط ـ ففى الثانى من أكتوبر (١٩٩٣م) فوجئنا بمقال بجريدة «لوموند» الفرنسية تحت عنوان: «إلى إخوانى اليهود» يعتذر إليهم فيه عما كتبه منذ عشر سنوات ضد أفعالهم الاستعمارية البشعة، ويندم علناً على توقيعه على ذلك المقال - اللهم لا تعليق!

Le don qu'il vous a fait le Centurion, Paris, 1977.

(2) **La Bible Le Coran et la Science, Seghers,** Paris, 1978.

(3) **Vatican II, les relations de L'Eglise avec les religions non-chretiennes,** le Cerf, Paris, 1966.

على ذلك الإيقاع المحموم لضرب الإسلام والمسلمين، وهو الإيقاع الذى زادت ضرياته بعد عام (١٩٦٥م) لتبلغ ذروتها فى ذلك النداء المطالب بتنصير العالم.

وهنا لابد من توضيح: إن العالم لم يكن أبدًا فى يوم من الأيام مسيحيًا بأسره، ثم خرج عن عقيدته أو حاد عنها؛ حتى يطلق نيافة البابا صيحته الصليبية المدوية مطالبًا بإعادة تنصيره، فقد أعطى بذلك «مباركته» لحملات إبادة لم يعرف التاريخ مثيلاً لها فى الشراسة، ولا فى غياب الضمير.

فمحاربة الإسلام التى لم تتوقف أبدًا، وإن عرفت موجات متفاوتة الحدة لعمليات التبشير، أو الضغوط السياسية والاجتماعية والتغريب؛ أخذت تتزايد بعد المجمع الفاتيكانى الثانى بصورة لافتة للنظر، سواء بعد المؤتمرات الخاصة بالتبشير، أم بالمنظمات التى تتولى تنفيذ قراراتها.

ولا يتسع المجال هنا لتناول كافة المؤتمرات التى تنعقد؛ لدراسة كيفية تحقيق المزيد من التوغل، والاختراق للعالم الإسلامى لإبادته، لكننا نشير على سبيل المثال إلى مؤتمر «لوزان للتنصير» عام (١٩٧٤م)، وخاصة مؤتمر «كولورادو» فى شمال أمريكا عام (١٩٧٨م) الذى حضره مائة وخمسون عالمًا متخصصًا، فى شئون التنصير، وتمت خلاله دراسة أربعين بحثًا؛ تناول كل منها: منفذا من المنافذ التى يمكن التسلل منها لتنصير المسلمين، ومؤتمر «مسيحيى الشرق» المنعقد فى باريس عام (١٩٨٥م)، وقبله بعام واحد المؤتمر المنعقد فى إيطاليا، والذى حضره حشد كبير مكون من ستة آلاف قس، تجمعوا من مختلف أنحاء العالم لتدارس كيفية استخدام الوسائل السمعية، والبصرية فى التنصير وفى التكوين الدينى.

أما فيما يتعلق بالمنظمات والمؤسسات الدينية التى تتولى التخطيط والتنفيذ الفعلى، فقد تم إنشاء العديد منها، فى مختلف البلاد، إلى جانب إحياء ما كان قد خبا دوره. ولا نذكر على سبيل المثال، أيضًا، سوى: «منظمة

إيمانويل» و«أسد يهوذا» و«الصحوة الكاريزماتية الكاثوليكية» التى تحتكر مؤسسة للطباعة والنشر، و«القربان والتحرر» و«البؤر الصغيرة» و«عمل الرب». وكلها مسميات غامضة؛ يتخفى وراءها آلاف العاملين وآلاف الأردية الكهنوتية التى تتضافر جهودها مع منظمة «العمل الكاثوليكية» و«جماعة أمبير» التى أصبحت تسيطر على ثلاثة عشر دارًا للنشر؛ متخصصة فى كتب الرسوم المتحركة للأطفال. وهذه المنظمات الرئيسية تدير كل منها العديد من المنظمات الفرعية بأسماء مختلفة ومجالات متنوعة.

وتعد منظمة «عمل الرب» من أهم هذه التنظيمات، وإن لم تكن بحديثة التكوين، إذ إن الأسقف «بالاجير»، قد قام بتكوينها فى الثانى فى شهر أكتوبر عام (١٩٢٨م) إلا أنها من المنظمات التى تم إحياؤها بصورة لافتة للنظر، فقد منحها البابا «يوحنا بولس الثانى» ميزة فريدة، دونًا عن بقية المنظمات الدينية الأخرى في العالم المسيحى، وهى: الاستقلال التام والسيادة الذاتية المطلقة، بعيدًا عن كافة السلطات الكنسية - فيما عدا سلطته المباشرة بالطبع.

ثم قام بعد ذلك فى السابع عشر من شهر مايو عام (١٩٩٢م) بإضفاء صفة القداسة على الأب «بالاجير» الذى أسسها، وهى تضم اليوم أكثر من مائة ألف مجند وتعد من أكثر المنظمات سرية وأهمية: بل يلقبها البعض «بالماسونية الكاثوليكية» لشدة وخطورة توغلها فى الشئون الدولية.

وإلى جانب هذه المنظمات فقد تم افتتاح معهد الدراسات الإعلامية الدينية، فى شهر يونيو عام (١٩٩٠م) بمدينة «بروكسل».

ويقوم هذا المعهد بتكوين فريق من الصحفيين الذين يجيدون تناول المواد الدينية إعلاميًا ومن المعروف أن كافة طلاب هذا المعهد من أعضاء منظمة «عمل الرب» هذه.

إلا أن أخطر هذه الأجهزة قاطبة، هو ذلك المقر الصناعى الخاص

بالفاتيكان والمسمى بمشروع «لومن ٢٠٠٠» أى: «نور سنة ٢٠٠٠»، فهو الأداة الطاغية التى يتعين عليها أن تمطر الإنجيل على العالم بأسره، عبر الأثير، من خلال العديد من الإذاعات الدينية الموجهة ، والمترجمة إلى كافة اللغات، التى يتحدث بها الكاثوليك فى كل قارات العالم. وقد تم هذا المشروع بتضافر الجهود: بين الفاتيكان، والمسئولين فى مدينة دالاس الأمريكية.

وبذلك أصبح التعصب الكنسى يلهث، فى إيقاعه المحموم، مستعينًا بكافة وسائل الإعلام العصرية، وبكافة مجالات العلم ومؤسساته لتنصير العالم؛ الأمر الذى نطالعه بوضوح فى العديد من المؤلفات، وخاصة فى كتاب «الجغرافيا السياسية للفاتيكان» الصادر فى أواخر عام (١٩٩٢م) بينما عمليات الإبادة لاتزال دائرة.

ويوضح هذا الكتاب، كيف حيكت حرب استعادة أوربا الشرقية من براثن الإلحاد، فى تلك المعركة، التى دارت رحاها بتضافر الجهود السياسية الأمريكية، والتكتيك الرسولى الفاتيكانى على صعيدين متلازمين: من ناحية، البدء بإسقاط النظام الشيوعى القائم فى بولندا، قبل إسقاط الاتحاد السوفياتى، لا من قبيل التجربة فحسب، وإنما لأن بولندا كانت تمثل حلف «وارسو»، الذى أقيم فى مواجهة حلف الأطلنطى، ومن ناحية أخرى، القيام باختلاق الظواهر الدينية الغيبية، وافتعال المناسبات؛ لإحياء الشعور الدينى للمساعدة على قلب نظام الحكم. وهو ما يتناوله الكتاب بالتفصيل، خاصة فيما يتعلق بعام (١٩٨٧م)، الذى أطلق عليه العام «المَرْيَمِى» نسبة إلى السيدة مريم العذراء، والذى بدأ بظهورها - بالجهود الفاتيكانية[1] - فى إحدى القرى السوفياتية فى حدث استعراضى بليغ، أدى إلى إحياء الكنيسة الأرثوذكسية التى عاونت بجدارة على إسقاط النظام الشيوعى من الداخل.

---

(1) C.Colonna-Cesari: **La Géopolitique Vaticane**, la Découverte, Paris, 1992.

وقد تمت إذاعة قداس افتتاح ذلك العام المريمى بالقمر الصناعى «لومن ٢٠٠٠» فى السادس من يونيو عام (١٩٨٧م) فى سبعة وعشرين بلدًا فى آن واحد، بواسطة ست عشرة نقطة ارتكاز، فى ست عشرة كنيسة «مريمية»، شاركت فى الحدث مباشرة.

ويستعرض المرجع نفسه «الجرافيا السياسية للفاتيكان» الحقل الثانى لاقتلاع اليسار، وإعادة إحياء الكنيسة الكاثوليكية فى أمريكا اللاتينية؛ حيث الكاثوليك هناك يمثلون (٥٠٪) من كاثوليك العالم. وقد تضافرت الجهود أيضًا، بين القيادة الأمريكية، و«التكتيك الرسولى الفاتيكانى» للسيطرة على تلك المنطقة، بعد أن تحولت الكنيسة بها إلى اليسار، وأصبحت تسمى «كنيسة الفقراء»، مما كان لا يسبب مشاكل جمة للبذخ الكنسى الفاتيكانى فحسب، وإنما كان يُدين موقف الكنيسة برمتها سياسيًا، واجتماعيًا، إلى جانب إدانة هيكلها الداخلى.

ولم نُشِر إلى هذه الشذرات، إلا لتوضيح كيف تتضافر الجهود بين الأجهزة الحاكمة الأمريكية، والفاتيكانية؛ بغية تحقيق المخططات، التى يحيكونها على مرأى ومسمع من العالم، بينما يواصل المسلمون الصمت صبرًا أو تخاذلاً. وبذلك تم اقتلاع المعسكر الشيوعى فى الثمانينيات، وفقًا لما تم الاتفاق عليه، ويبقى الإجهاز على الإسلام وفقًا لما هو مخطط له، أيضًا، وذلك قبل نهاية التسعينيات حتى تبدأ الألفية الثالثة وقد تم تنصير العالم.

إن ما حاولنا توضيحه والتأكيد عليه هو ذلك الموقف المزدوج للتعصب الكنسى من الإسلام والمسلمين. الأمر الذى يخالف قرار التحاور المزعوم، والذى لايزال الجانب الإسلامى غارقًا فى تصديقه، أو يتمشى معه؛ من باب الضعف أو اللامبالاة. وهو موقف لا يمثل فى الواقع، إلا جو الاستكانة المطلوب لتنفيذ المخططات. فإذا ما كانت الأحداث التى أشرنا إليها باقتضاب، كنماذج، تمثل الجانب الفعلى لتراجع الفاتيكان عن قراره إلى

النقيض؛ لأن الحوار لا يعنى الإبادة، فإن ما ورد بكتاب **«التفسير الدينى الجديد للكنيسة الكاثوليكية العالمية»** الصادر فى نوفمبر (١٩٩٢م)، يؤكد حقيقة هذا الموقف الذى لا مواربة فيه، والذى لا يمكن السكوت عنه.

وأول ما نود الإشارة إليه فيما يتعلق بهذا الكتاب الدينى الجديد، أنه قد صيغ من أجل تكوين «الكنيسة العالمية الواحدة»، التى يسعى البابا إلى إقامتها! وقد تمت الموافقة على إصداره أثناء المجمع فوق العادة، الذى أقيم، احتفالاً، بمرور عشرين عامًا على ذكرى المجمع المسكونى الفاتيكانى الثانى. وتحمس البابا يوحنا بولس الثانى للفكرة وتبنى تنفيذها، خاصة وأن الكتاب السابق، كان ساريًا منذ القرن السادس عشر.

ويرجع حماس نيافته إلى أن الفكرة «تتفق وفكرته المتسلطة، لتوحيد العقيدة المسيحية، تحت لواء الكاثوليكية، وفرضها على الصعيد العالمى»[1].

وعلى الرغم من الانتقادات، التى أثارها هذا الكتاب خاصة فى الأوساط المسيحية غير الكاثوليكية، واتهامه بعدم الحياد فى العديد من القضايا؛ خاصة لعدم إدانته الأسلحة النووية صراحة ولقبوله المنحرفين جنسيًا، ولتحريمه الإجهاض - وذلك إلى جانب فرض ضرورة الإيمان بمعتقدات غيبية جديدة كالملائكة - كما يتهمون موقف الفاتيكان بعدم الأمانة فى القضايا التى تناولها، خاصة وأن هناك من النصوص القديمة، التى كان يتعين عليه الأخذ بها، وعلى الرغم من أن هذا الكتاب بكل ما به من انحرافات قد أصبح ملزمًا لكافة الكنائس المسيحية رغم كل ما أثاره من خلافات مازالت دائرة، فإن ما يعنينا من أمره، حاليًا، هو ما يتعلق بالإسلام والمسلمين: ففى البند التاسع من الفصل المعنون: «عقيدة الإيمان بالكنيسة الكاثوليكية المقدسة»، فى النقطة الثالثة التى تنص على: أن الكنيسة كاثوليكية، وأن كل كنيسة خاصة هى كاثوليكية، يوجد الجزء الذى ينص على

(١) انظر: المرجع السابق، ص (٩٤).

موقف الكنيسة من غير المسيحيين ويبدأ بالعبارة التالية: «أما فيما يتعلق بالذين لم يتقبلوا الإنجيل بعد، بأشكال مختلفة، فهم أيضًا مأمورون بأن يصبحوا شعب الله»[1].

وتعبير «شعب الله» حاليًا، لم يعد يرمز فى المفهوم الكنسى إلى اليهود، فقد أسقطته الكنيسة عنهم؛ لتتلفع هى به، وهذه إحدى نقاط الخلاف الداخلية بينهما، إلا أن ما يستوقفنا هو تعبير «فَهُم أيضًا مأمورون»، أى إن الأوامر قد صدرت بتصيير المسلمين وغيرهم.

أما فيما يتعلق بموقف الكنيسة الكاثوليكية من المسلمين بالتحديد، فإننا نقرأ بخلاف ما تقدم فى صفحة (١٨٥) من ذلك الكتاب الدينى «إن هدف الخلاص يتضمن، أيضًا من يعترفون بالخالق.

أولاً: المسلمون الذين يؤمنون بإبراهيم ويعبدون معنا الله الواحد، الرحيم، حاكم الناس فى اليوم الآخر».

وقبل أن نسترسل فى هذا النص، تجدر الإشارة هنا إلى عبارة: «الذين يؤمنون بإبراهيم» والتى لا تعنى: أن العرب المسلمين ينتسبون إليه أو ينحدرون عن ابنه البكر إسماعيل عن طريق ابنه قيدار، وإنما هم يؤمنون به فحسب! وهذا مجرد نموذج من نماذج لا حصر لها، تتضمنتها محاضر جلسات المجمع المسكونى الفاتيكانى الثانى، والتى تكشف عن مدى تلاعب التيار المتعصب بالألفاظ ليخرج النص الخاص بالحوار مع المسلمين خاليًا من أية إشارات، قد يفهم منها حقيقة ما تم من تحريف على مر العصور.

وهنا يقول الأب كاسبار[2]: «لقد أعيدت صياغة النص، حتى لا يتخذ تمهيدًا لحل المسائل الصعبة، التى ظل النقاش حولها، مثال: النسب التاريخى

(1) **Catéchisme de l'Eglise Catholique**, Mane - Plon, Paris, 1992.

(٢) راجع الجزء الخاص بصياغة القرار النهائى الخاص بالمسلمين، وكل ما طرأ عليه من تعديل فى الكتاب الخاص بهذا المجمع.

للعرب، ابتداء من إسماعيل، وخاصة صلة الإسلام بالرسالة الإنجيلية» (صفحة ٢٠٥)، «وحتى لا يفهم منها أن الله قد تحدث أيضًا إلى محمد» (٢١٨) «فالنص النهائى لا يكشف عن أن إبراهيم جد نَسَبى للعرب المسلمين، ولكن كنمط للإيمان الإسلامى بخضوعه لإرادة الله» (صفحة ٢١١).

وبخلاف اللعب بالألفاظ، فإن الاستشهاد الثانى، يكشف لنا عن مغزى إصرار التعصب الغربى على إنكار صفة النبوة عن سيدنا محمد ﷺ. «لأن ذلك يفصل جذريًا ما بين العقائد التوحيدية الناجمة عن المجهود البشرى، سواء أكانت عقلانية أم لا، وبين الديانات التى هى ثمرة كلمة الله شخصيًا، كتنزيل بحت» (صفحة ٢١٨) أى أن الإسلام ليس ديانة توحيدية منزلة.

ونعود إلى ذلك الكتاب الدينى الجديد لنرى أن الكنيسة تعترف: بأن الإسلام مجرد ديانة من الديانات التى تبحث عن الله، وهو بحث: «مازال فى الظل وتحت التخيل» لذلك فهى تعتبر كل ما هو طيب، أو حقيقى فى هذه الديانات «بمثابة إعداد إنجيلى وهبة من الذى يغير كل إنسان، لكى يحصل أخيرًا على الحياة».

و«هدف الخلاص» هذا يعنى ضرورة فرض الكاثوليكية على المسلمين وعلى العالم أجمع.

ثم يوضح الكتاب عينه، كيف أنه لا يوجد خلاص خارج الكنيسة الكاثوليكية، و«أنه من واجبها المقدس تبشير كل الذين مازالوا يجهلون الإنجيل» (صفحة ١٨٦) و«كيف أن المجهود التبشيرى يتطلب صبرًا» (صفحة ١٨٧) وأن عملية التبشير تبدأ بالتبشير بالإنجيل إلى الشعوب والجماعات التى لم تؤمن بعد بالمسيح، وتستمر العملية بإقامة جماعات مسيحية، تعد بمثابة علامات على وجود الله فى العالم، وفى إقامة كنائس محلية، وبدء عملية محو ثقافى، لتجسيد الإنجيل فى ثقافات الشعوب.

وفيما يتعلق بالناس والجماعات الإنسانية والشعوب، فإن الكنيسة

لا تصل إليهم ولا تتوغل فيهم إلا بالتدريج. وبذلك تستحوذ عليهم فى شمولية الكاثوليكية (الفقرتان ٨٥٤، ٨٥٥ صفحة ١٨٧، ١٨٨).

ذلك هو المخطط المعلن صراحة فى كتاب «التفسير الدينى الجديد للكنيسة الكاثوليكية العالمية» الصادر فى نوفمبر (١٩٩٢م)، والذى يعد بمثابة توجيه إجبارى على كافة الكنائس والحكومات المسيحية، أن تلتزم به وتتبعه ـ سواء أرادت أم لم ترد. ذلك هو ما نطالعه فى كتاب متعصب لا يمت إلى الحياد والأمانة بأية صلة، سواء بالنسبة لبقية العقائد بعامة أم بالنسبة للإسلام بخاصة، كما أنه يأتى منافيًا لما نص عليه المجمع الفاتيكانى الثانى من إقرار حرية العقيدة ومبدأ الحوار. فكيف يمكن أن تكون هناك حرية عقيدية فى الوقت الذى تفرض فيه عقيدة واحدة، وكيف يمكن أن يتم الحوار، فى الوقت الذى تحاك فيه المؤامرات فى السر والعلن، وتكال فيه الطعنات فى السر والعلن أيضًا!

إن مجريات الأحداث بعامة، وخاصة منذ عام (١٩٦٥م) حتى يومنا هذا، تؤكد أننا لسنا فى وقت يسمح بمجرد تبادل الزيارات، وإجراء اللقاءات أو حتى المؤتمرات والتشدق بعبارات شكلية جوفاء عن التقارب بين المسيحية والإسلام، فهذا الموقف لا يمثل فى الواقع، إلا استكانة المسلمين، ومنح الفرص كاملة للتعصب المسيحى، ليعمل بكل ما أوتى من علم، وإمكانات لتنفيذ مخططه الذى لم يعد سرًا ولا خافيًا. فمن الواضح جليًا أننا نعيش فى عصر المغالطة الكبرى: عصر النظام الدولى الواحد، وعصر النظام الدينى الواحد الذى يمثل فى الواقع نظامًا استعماريًا جديدًا تتحد فيه السلطة الأمريكية، والفاتيكانية: لاستعمار العالم والسيطرة عليه، ولا نكتب عبارة «النظام الدينى الواحد» جزافًا؛ فقد أعلن البابا يوحنا بولس الثانى: شعار تنصير العالم، كما أعلن عالمية الفاتيكان وجعله السلطة الدينية الأولى، والوحيدة فى العالم، وأعلن عن ضرورة إصراره وتمسكه بالأصولية.

والأصولية فى المجال الكنسى تعنى: التمسك بكل ما أجرى فى الديانة المسيحية من تحريف، عبر كل المجامع على مر العصور[1]. كما أعلن عن مركزية الكنيسة الكاثوليكية ومواجهة معارضية أو منتقديه، بكل العنف اللازم حتى الاغتيالات[2].

وهنا لابد من وقفة ـ كمسلمين ـ نتدبر فيها كيفية الدفاع عن الإسلام. ففى الوقت الذى أعلن فيه البابا مخططه، لفرض سيطرة الكنيسة الكاثوليكية على المجتمع الدولى، وتنصير العالم تحت لواء كاثوليكية روما، لم يعد من حقنا التشدق بالعبارات السيارة والمجاملات. ولابد لنا بل ولا مخرج لنا من هذه المحاصرة، إلا بتوحيد صفوف المسلمين للعمل على صد هذه الهجمة الشرسة والدفاع عن الإسلام.

وفى ختام هذا البحث، لا يسعنا إلا أن نطالب نيافة البابا يوحنا بولس الثانى: بتصويب مقولته، فليس من حقه تنصير العالم تحت مسمى أو زعم: «إعادة تنصيره». فالعالم لم يكن فى أى وقت من الأوقات مسيحيًا بأسره. وإن افترضنا ـ جدلاً ـ أنه من حقه محاولة إعادة تنصير من الحدوا، أو من كفروا بالمسيحية؛ بسبب كل ما اعتراها من تحريف، وتزييف ثابت تاريخيًا، فلا يحق له إلغاء العقائد الأخرى، وخاصة الإسلام، الذى يعرف نيافته تمامًا أنه أتى مصوبًا، ومكملاً، وخاتمًا للرسالة التوحيدية.

ولا نرى أية صعوبة فى أن يغير البابا عبارته، فللتعصب الكنسى سابقة فى هذا المجال، عندما برأ اليهود من دم المسيح، وحمل ذنب مقتله على البشرية جمعاء. ولقد أدى كل ما أثير من احتجاج على هذا التعميم إلى: أن غيّر الفاتيكان موقفه، أو عباراته، وحمل هذا الذنب على كافة المسيحيين فحسب[3].

(1) Encyclopédie Universallis, Paris, 1985, vol. 9.

(٢) انظر الكتاب: الجغرافيا السياسية للفاتيكان.

(٣) راجع كتاب «التعليم الدينى الجديد» للكنيسة الكاثوليكية».

وهنا لا نملك إلا أن: نناشد البابا يوحنا بولس الثانى الابتعاد عن تيار التعصب الأكمه، الذى يخالف ما أنزل الله عز وجل، والإبحار بخرافة إلى شاطئ السلام الإنسانى العادل، والاعتراف بالإسلام، بدلاً من محاولة محاصرته وإبادته؛ فمثلما عرف الفاتيكان كيف يجتاز حقبة امتدت ألفى عام من الأحداث والعداوات المعاشة، بل ومن الخلافات العقائدية الجذرية التى مازالت قائمة، لتبرئة اليهود من مقتل السيد المسيح ـ وفقًا لما يعتقدونه ـ وقد قام بذلك بالتنقيب فى أسراره الذاتية ليكشف قرابة اليهود ونسبهم إلى المسيح حسب الجسد»، وتبرئتهم من قتله. (الكتاب الدينى الجديد صفحة ١٨٥) وبذلك تخطى الفاتيكان كل ما كان يفصل بينهما من أحقاد ومجازر. فإننا نناشد نفس ذلك الضمير الحى فى الفاتيكان أن يلجأ إلى «أرشيفه السري» وأن «ينقب فى أسراره الذاتية»؛ ليكشف حقيقة علاقته بالإسلام والمسلمين، وتبرئتهم من كل ما فرضه عليهم من إدانات وتشويه على مر العصور.

فإن كل ما يواجه المجتمع العالمى من مشاكل، بل من كوارث حالية، أو وشيكة ـ من تلوث البيئة، ونقصان موارد الطاقة، والغذاء، بل ونقصان المياه الصالحة للشرب والرى، رغم المحيطات ـ ولا نقول شيئًا عن المجاعات القائمة أو القادمة. إن كل ذلك ليس بحاجة إلى تكثيف الجهود من أجل السيطرة على الموارد وفرض النظام السياسى الموحد، والدين الواحد بكل ما بهما من ظلم وفريات، وإنما بحاجة إلى تضافر كافة الجهود وفقًا لما أنزله الله من تعاليم حنيفية، قائمة على العدل؛ وتحث على التعاون، والحب، والعمل، والبناء، والعطاء.

كما لا نملك إلا أن نهيب بالمسلمين ـ أينما كانوا ـ أن يكفوا عن التواطؤ، بالصمت أو بالمشاركة، وأن يهبُّوا من سباتهم، وتخاذلهم؛ ليوحدوا صفوفهم للجهاد الشرعى فى سبيل الله، دفاعًا عن حياتهم، ودفاعًا عن كيان الإسلام، مثلما نص القرآن ـ إن كانوا حقا يؤمنون.

يوحنا بولس الثاني والإسلام...!

مقدمة:

فى منتصف شهر أكتوبر (١٩٩٤م)، صدر كتاب جديد للبابا يوحنا بولس الثانى بعنوان: «ادخلوا فى الرجاء».

والطبعة الفرنسية للكتاب: صادرة عن دارى نشر كل من: بلون ومام معاً وتقع فى (٣٣٥) صحيفة من القطع المتوسط.

والكتاب عبارة عن (خمسة وثلاثين) سؤالاً، كان الكاتب والصحفى الإيطالى «فيتوريو ميسورى» وهو من المعروفين بدفاعهم عن الكاثوليكية؛ قد تقدم بها عام (١٩٩٣م) للبرنامج التليفزيونى الذى كان سيتم إخراجه بمناسبة مرور خمسة عشر عامًا على تعيين «كارول فويتيلا» فى منصب البابوية. إلا أن كثرة انشغال البابا ورحلاته المتعددة، لم تسمح بعمل مثل هذا البرنامج الطويل، ونظرا لأهمية هذه الأسئلة، كما يقول الباب، فقد احتفظ بها للرد عليها «ولم يلق بها فى سلة المهملات».

وفى شهر أبريل (١٩٩٤م) تم تسليم ردود البابا إلى الصحفى؛ ليتولى عملية نشرها. وقد آثر «ميسورى» الاحتفاظ بنفس العنوان، الذى كان البابا قد اقترحه. وما له مغزاه أن يوضح الكاتب الصحفى فى المقدمة أنه كان قد تقدم بعشرين سؤالاً فحسب، إلا أن البابا عندما شرع فى الرد عليها كتابة، قد أسهب فى حديثه، وتناول مشكلات أخرى.

«ولتسهيل مهمة القارئ بدا لى من الضرورى، إدخال أسئلة أخرى جديدة على النص. الأمر الذى رفع عدد الأسئلة من عشرين إلى خمسة وثلاثين سؤالاً، كما يكشف فى الوقت نفسه عن عملية: «توجيه» النص وفقاً لمتطلبات الساعة وظروفها السياسية والاجتماعية. وأهمها التمهيد للخطاب الرسولى الذى صدر بعد هذا الكتاب بشهر واحد، أى فى (١٤/١١/١٩٩٤م) والخاص باحتفالات الألفية الثالثة».

وينصح الكاتب الصحفى القارئ: أن يقوم بقراءة «هذه النص

الكاثوليكى بالمعنى الحرفى للكلمة، من أوله إلى آخره؛ فهو يتضمن كل شىء.

وكل شىء متداخل فيه وفقا «لمنظور عضوى» أى إنه أبعد ما يكون عن التلقائية والبراءة!

وقد قام البابا بمراجعة النص، بعد التقسيمات التى أجراها فيتوريو ميسورى، بناءً على الأسئلة التى اضطر إلى إدخالها، وإعادة تقسيم النص الأصلى بمقتضاها. وتمت الترجمة إلى أهم اللغات الأخرى من هذا النص الأساسى؛ ليتم توزيعه فى جميع أنحاء العالم فى وقت واحد.

ولا يفوت الكاتب أن يوضح قائلاً: «إن هذه الوثيقة ترد على احتياج «روحى» شرعى وعلى مطلب «أخلاقى» قبل أى اعتبار سياسى». مشيرًا إلى أنها تُعنى بالإيمان قبل أى شىء. «فهذا الإيمان، بكل ما يتضمنه من تأكيدات، ومن جوانب مظلمة، وبكل ما يحتوى عليه من أزمة تتهدده، والمجتمعات التى ترتاب منه؛ لأنها لا ترى فيه سوى استفزاز، وتعصب مذهبى وتعصب دينى، إن هذا الإيمان يعلن أنه يوجد شىء آخر سوى مجرد الآراء البسيطة، فهناك الحقيقة الكبرى».

وهذه الحقيقة الكبرى: تتعلق كما يقول الكاتب: «بعملية التبشير الجديدة» التى يجند لها البابا كافة الإمكانيات السياسية والكنسية.

أما بيان التعريف المنشور على ظهر الكتاب فيقول فى آخر فقرتين: «إن هذا الكتاب؛ عبارة عن حدث فريد، إن الكلمة التى تضفى عليه الحيوية، تدفع نداءً ملحًا إلى أعماقنا، تدفع نداءً أساسيًا: ادخلوا فى الرجاء! ادخلوا فى الرجاء الوحيد الذى لن يخيبكم أبدًا»!

«فعلى عتبة الألفية الثالثة، عن طريق الصوت الودود للبابا يوحنا بولس الثاني، فإن الله بنفسه هو الذى يعلن لنا عن حبه، بلا كلل».

غير أن السؤال الخاص بالإسلام، وبالتحديد - إجابة البابا على هذا

السؤال قد خيبت آمالنا فى مصداقية شخص ومعلومات البابا يوحنا بولس الثانى، كما سنطالعه عما قليل!

والأسئلة التى تم طرحها فى هذا الكتاب، وفقًا لفهرس الموضوعات تتناول على التوالي: المقدمة.

البابا: هل هو امتداد حى لأسطورة أو شاهد لله.

الصلاة: كيف ولماذا؟.

صلاة «نائب المسيح».

هل الله موجود؟

ما هى الأدلة التى لدينا عن وجود الله؟.

إذا ما كان الله موجودًا، فلما يختبئ؟

هل يمكن أن نزعم جديًا أن يسوع هو الله؟

هل تضحية المسيح لإنقاذ البشر ضرورية؟

لماذا الإنسانية فى حاجة لإنقاذ؟

إذا ما كان الله محبة فما معنى كل ذلك الشر الذى يسود فى العالم؟

لماذا لا يمكن لله أن يستبعد الشر والمعاناة؟

هل سيتم إنقاذ العالم بأسره؟

لم كل هذا العدد من الديانات؟

هل البوذية بديل عن المسيحية؟

ما الفرق بين الله عند المسلمين وإله المسيحيين؟

هل الشعب اليهودى يجد نفسه فى العهد الجديد؟

هل ستموت المسيحية؟

هل يمكن قبول تحدى عملية التصير الجديدة؟

هل الشباب سبب يدعو إلى الأمل؟

سقوط الشيوعية: غموض أم معجزة؟

هل هناك أى خلاص بعيدًا عن الكنيسة؟

بحثاً عن الوحدة الضائعة؛ المسيحيون لم هم منقسمون؟

المجمع[1] هل هو بداية نهاية الكنيسة؟

ما الذى سيبقى من المجمع؟

أهو تقهقر أم تجديد؟

ألم يتم تخطى الكنيسة بتطور العادات؟

هل يمكن للإنسان أن يلعن نفسه إلى الأبد؟

وما جدوى الإيمان؟

ما الذى يؤسس حقوق الإنسان؟

لماذا تتشبث الكنيسة بهذا الشكل حول مشكلة الإجهاض؟

هل التعبد إلى مريم يحيد بنا عن المسيح؟

ما هى مكانة المرأة فى الحياة الاجتماعية؟

لا تخشوا شيئاً! ادخلوا فى الرجاء...

ومن سياق هذه الأسئلة، ندرك بوضوح أنه قد تم رصها وفقًا لمشكلات الساعة، أو وفقًا للمحن الحالية، التى تواجه البابا فى مختلف المجالات الأساسية، ومنها:

المشكلات الداخلية فى نفس البنيان الكنسى، وبخاصة البنيان

(١) عبارة المجمع، طوال هذا النص تعنى المجمع المسكونى الفاتيكانى الثانى (١٩٦٢ - ١٩٦٥).

الفاتيكانى، وأهمها: تباعد رجال اللاهوت، اعتراضاً على ما يتم من تحريف، وانحرافات حياتهم، واعتراضاتهم على السلطات القمعية، وما إلى ذلك.

المشكلات اللاهوتية بين مختلف الكنائس بعضها والبعض وخاصةً فى كل من ألمانيا وسويسرا وإنجلترا؛ والمشكلات التى تواجهها الكنيسة الكاثوليكية، خاصة فى المجتمع وتزايد تباعد الأتباع عنها؛ وفتور الإيمان بأساسيات العقيدة، كما تم نسجها لثبوت عدم صحتها، وعدم طاعة تعليمات البابا، خاصة فيما يتعلق بالإجهاض، واستخدام موانع الحمل، ومشكلات توحيد كافة الكنائس تحت لواء كاثوليكية روما، ومشكلة مواجهة العلمانية والعمل على اقتلاعها، مثلما قامت الكنيسة بالجهد الأساسى فى اقتلاع الشيوعية، ومشكلات اقتلاع الديانات الأخرى، وخاصة الإسلام.

وبالتالى؛ ندرك من نفس هذا السياق عرض إجابات البابا عليها، بكل ما بهذه الإجابات من توجهات ومغالطات، لقيادة خرافه الضالة كما يقول، ولقيادة سياسة العالم بأسره لتحقيق حلمه الكبير، بتنصير العالم مع بداية الألفية الثالثة.

وإجابة البابا الخاصة بالسؤال المتعلق بالإسلام جد خطيرة؛ لما تحمله من فريات وجهل ومغالطات. وتزداد خطورتها فى هذه الفترة بالذات؛ حيث أعلن البابا عن خطته الخمسية، لتنصير العالم عشية أو بمناسبة قدوم الألفية الثالثة، والعمل على إسقاط ديون العالم الثالث، تمهيداً لعملية تنصيره!

وفيما يلى السؤال الخاص بالإسلام، وإجابة البابا يوحنا بولس الثانى، وتقع فى الصفحات من (١٥٤ : ١٥٩) من الكتاب المعنون: **«ادخلوا فى الرجاء»**. وقد راعينا نفس الشكل التنسيقى الوارد فى الكتاب، حيث كل سؤال تتبعه فقرة تفسيرية، أو استفسارية فى صفحة مستقلة، وتتبعه الإجابة فى الصفحة التالية ببنط أكبر.

ما الفرق بين الله عند المسلمين وإله المسيحيين؟

«إن تناولنا يختلف بالطبع عندما يتعين الأمر بالمعابد اليهودية وبالمساجد، حيث يجتمع بها الذين يعبدون الله الواحد».

١ - نعم[١]. بالطبع، فالأمر يختلف كلية فيما يتعلق بهذه الديانات التوحيدية الكبرى، بدءًا بالإسلام.

ففى بيان مجمع الفاتيكان الثانى المعنون: «فى زماننا هذا، يمكننا أن نقرأ ما يلى: «إن الكنيسة تنظر أيضًا بتقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد، الحى الدائم، الرحمن القدير، خالق السماء والأرض»[٢].

وبسبب توحيدهم هذا، فإن الذين يؤمنون بالله[٣] قريبون منا بصفة خاصة.

٢ - وإننى لأتذكر حدثا - وقع لى أيام شبابى - حيث كنا نقوم بزيارة دير القديس مرقس بمدينة فلورنسا بإيطاليا، وكنا نتأمل الرسوم الجدارية للفنان «فرانجليكو»، وعندئذ، انضم رجل إلى جماعتنا، ووقف يشاركنا انبهارنا أمام عمل الفنان الكبير، الذى كان راهبًا أيضًا، ولكنه سرعان ما أضاف قائلاً: «لا يوجد هنا أى شىء يصل إلى جمال ديننا التوحيدى المسلم». ولم تمنعنا هذه العبارة من مواصلة زيارتنا برفقة ذلك الرجل، متبادلين النقاش معه وديًا، وبهذه المناسبة، انتابنى شعور مسبق لما سيكون عليه ذلك الحوار بين المسيحية والإسلام، والذى نحاول تنميته بدأب منذ أيام المجمع.

٣ - وأى شخص يقرأ القرآن، وهو على دراية مسبقة بالعهد القديم والجديد، سيلحظ بوضوح: سياق الاختزال الذى تعرض له التنزيل الإلهى المسيحى. ومن المحال ألا يُصدم المرء من عدم الفهم، الذى يظهر فى القرآن بوضوح؛ لما قاله الله عن نفسه، أولاً: عن طريق الأنبياء فى العهد القديم، ثم لما قاله بصورة نهائية فى العهد الجديد، عن طريق ابنه. وبالفعل، إن كل هذا

(١) أرقام الفقرات من عندنا؛ ليسهل التعرف عليها عند قراءة الرد.

(٢) «فى زماننا هذا» الفقرة ٣.

(٣) قالها بالنطق العربى Allah؛ ليفرق بينها وبين عبارة Dieu بالفرنسية، وتعنى: الله؛ للتفرقة بين المسلمين والمسيحيين، وكأنهما إلهان مختلفان فى المفهوم التوحيدى، قبل تحريف المسيحية.

الثـراء الخـاص، يكشف الله عن ذاته، والذى يمثل تراث العـهـد القـديم والجديد، قد تُرك جانبًا فى الإسلام.

٤ - إن الله القرآنى تطلق عليه أجمل الأسمـاء المعروفة فى اللغة الإنسانية، لكنه فى نهاية المطاف إله يظل غريبًا عن العالم. إنه عبارة عن إله جلالة فحسب وليس أبدًا «عمانويل» أى: «الله معنا» إن الإسلام ليس دين فداء. وهو لا يعطى أية مساحة للصليب ولا للبعث. ولقد ورد ذكر يسوع، وإنما تم ذكره كنبى فقط، عليه أن يمهد الطريق لمجئ «ما أومية»[1] آخر كل الأنبياء، ومريم أيضًا الأم العذراء قد ورد ذكرها، إلا أن مأساة العذراء غائبة كلية. لذلك فإن علم اللاهوت، بل وكذلك علم الإناسة فى الإسلام شديدا البعد عنهما فى المسيحية.

٥ - ومع ذلك، فإن تديُّنَ المسلمين جدير بالاحترام، فلا يمكننا ألا نعجب مثلاً بإخلاصهم للصلاة، فلا اكتراث، للزمان ولا للمكان، وإن من يطلق على الله عبارة الله[2] يسقط على ركبتيه ويستغرق فى الصلاة عدة مرات فى اليوم. إن هذه الصورة تظل بمثابة نموذج للذين يؤمنون بالله الحقيقى، وبخاصة لهؤلاء المسيحيين الذين يهجرون كاتدرائياتهم الرائعة، وقليلاً جدًا ما يصلون هم لا يصلون بتاتًا.

٦ - إن المجمع قد دعى الكنيسة إلى الحوار مع أتباع النبى والكنيسة، وقد شرعت فى هذا الطريق، وإننا لنقرأ فى بيان «زماننا هذا»: «إذا ما كانت قد لاحت، على مر القرون، العديد من الخلافات والعداوات بين المسيحيين والمسلمين، فإن المجمع يحثهم جميعًا على نسيان الماضى، وعلى أن

---

(١) المقصود بعبارة «ماأومية» اسم سيدنا محمد ﷺ كما دأب الغرب على تحريفه من ضمن تحريفات أخرى له؛ لكى لا يستقر اسمه فى الأذهان.

(٢) يقوم البابا هنا أيضًا بنفس التفرقة اللغوية بين عباراتى Allah - Dieu للتأكيد على: أن المسلمين يعبدون إلها آخر، غير الله سبحانه وتعالى.

يجاهدوا بصدق؛ للتوصل إلى فهم متبادل، وأن يعملوا معًا على حماية وتشجيع العدل الاجتماعى، والقيم الأخلاقية، والسلام والحرية، من أجل كافة البشر» [1].

٧ - ومن منطلق هذا المنظور، فإن لقاءات الصلاة الجماعية[2] فى بلدة «أسيز» بإيطاليا، قد كان لها أهمية كبرى - كما سبق أن أوضحت - خاصة الصلاة الجماعية من أجل السلام فى البوسنة، التى أقيمت عام (١٩٩٣م) ولابد أن نضيف إلى ذلك تلك اللقاءات، التى تمت مع المسلمين، أثناء أسفارى الرسولية المتعددة سواء فى أفريقيا أم في آسيا. وقد حدث أن تكون أغلبية السكان فى البلد الذى أزوره من أتباع الإسلام: إلا أن ذلك لم يمنع من أن يكون استقبال البابا استقبالاً حارًا، ولا من أن يتم الإنصات إليه باهتمام.

٨ - إن رحلتى إلى المغرب، حيث كنت مدعواً من قِبَل الملك الحسن الثانى، يمكن اعتبارها دون أى شك بمثابة حدث تاريخى، فلم تكن مجرد زيارة ودية، وإنما كانت تمثل حدثًا حقيقيًا على المستوى الرعوى. وهذا اللقاء مع الشباب فى «الإستاد» الرياضى الكبير بالدار البيضاء (١٩٨٥م)، لا يمكن نسيانه! إن انفتاح الشباب لخطاب البابا حول الإيمان بالإله الواحد كان مذهلاً. ولقد كان ذلك بالتأكيد حدثًا لا سابق له.

٩ - ومع ذلك، فإن المصاعب الملموسة بشدة موجودة أيضًا. ففى البلدان التى تستولى فيها التيارات الأصولية على الحكم، يتم فيها للأسف تفسير حقوق الإنسان ومبدأ الحرية الدينية بصورة أحادية صرفة: فالحرية الدينية عندهم تعنى حرية فرض «الدين الحقيقى» على كل المواطنين. إن

---

(١) «فى زماننا هذا» الفقرة ٣.

(٢) التى دعى إليها من كل ديانات العالم، كسرًا للحاجز النفسى الذى يفصل بينها، وتمهيدًا لدمجها كما يخطط لها.

ظروف المسيحيين فى هذه البلدان تكون أحيانًا مأساوية حقًا. والمواقف الأصولية التى من هذا النوع، تجعل محاولات الاتصال المتبادلة شديدة الصعوبة. غير أن الاستعداد للحوار والتعاون فهما ثابتان من جانب الكنيسة.

لاشك فى أن القارئ لهذه الإجابة لا يمكنه إلا أن يشعر بالامتعاض! لا لكل ما بها من جهل، وفريات، أو مغالطات متكررة على مدى أربعة عشر قرنًا تقريبًا، ولكن لأنها صادرة عن البابا يوحنا بولس الثانى شخصيًا، وفى شهر أكتوبر ١٩٩٤م.

وهو تاريخ صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب. والمقصود بذكر التاريخ هنا هو الإشارة إلى كل ما كتب من ردود من جانب المسلمين، تفنيدًا لهذه الأكاذيب؛ لكى لا نقول شيئًا عن القرآن الكريم الكاشف لما تم فعلاً من تحريف.

كما ننوه إلى كل ما تم اكتشافه فى الجانب المسيحى، من مخطوطات، ووثائق تصم الأكاذيب المغرضة التى قاموا بها، وإلى كل ما تم إخفاؤه أو تحريفه فى الأناجيل، إلى جانب كل ما كتبه الأمناء من أتباع المسيحية تصويبًا لها أو حتى دفاعًا عن الإسلام.

أما أن يأتى نيافة البابا اليوم، ويعلن على العالم أجمع نفس هذه الأكاذيب والمغالطات، ويواصل نفس هذا الهجوم الممتد عبر القرون، على أيدى ترسانة مؤججة بالمبشرين، والمستشرقين، ومختلف أجهزة الإعلام، التى تم تتويجها بقمر صناعى يدعى: «لومن ألفين» ليمطر العالم بالتبشير.... فذلك لا يعنى سوى أحد أمرين لا ثالث لهما بكل أسف: إما أنه يتزعم الهجوم على الإسلام والمسلمين، وبالتالى فهو «يبارك» المجازر الحالية لاقتلاع الإسلام، وإما أنه فى مستوى يرثى له من المعلومات العامة، لكى لا نقول من الجهل، الذى لا يليق بمن هذه مكانته؟! وفى كلتا الحالتين، فهى وصمة لا تليق بمن يحتل هذا المنصب.

فبابا روما وهو الرئيس للكيان المسيحى برمته فى العالم أجمع، بكل ما فى المسيحية من انقسامات وتفريعات لا تعد ولا تحصى!! ورغم تغير ألقاب هذا المنصب البابوى على مر العصور، وفقا للصراعات الدائرة بين السلطة الكنسية والسلطة المدنية، فإن البابا يوحنا بولس الثانى هذا يحمل الألقاب التالية: «أسقف روما، خليفة القديس بطرس، نائب يسوع المسيح، أمير الرسل، الحبر الأعظم للكنيسة العالمية، بطريارك الغرب، كبير أساقفة إيطاليا، رئيس أساقفة المقاطعة الرومية، وعاهل دولة مدينة الفاتيكان»!! وذلك وفقًا لما هو وارد فى موسوعة بورداس الفرنسية، مجلد «الفلسفات والديانات»، البند رقم (٩٥١)، بالقسم (١٢). أى أن له تسعة ألقاب قيادية سلطوية عالمية ومحلية!.

ومن يحمل كل هذه الألقاب، ومن يتحدث باسم الشخصية الثانية للإله «الثلاثى التكوين» كما يقولون، فلا يحق له أن يكون بمثل هذا التعنت ولا بمثل هذا الانخراط الأبهم. والمفترض فيه أن يكون قمة فى الصدق، والأمانة، والعدل، والمعرفة، وعلى الأقل فى أقرب مستوى ممكن من السيد المسيح الذى يقال إنه يمثله ويتحدث باسمه!.

وحرصًا على ألا تتداخل النقاط الأساسية التى تعرض لها البابا، سنتناول كل فقرة من الفقرات التسع التى تكون مجمل إجابتها تباعًا. وإن كان لزامًا علينا أن نبدأ بالإشارة إلى نفس تركيبة السؤال، الذى يبدو وكأنه يوجه سياق الإجابة، موضحًا بشكل مسبق أن هناك فرقًا أصلا بين الديانتين التوحيديتين المشار إليهما، وما عليه إلا أن يؤكد هذا الاختلاف.

كما يتضمن التفسير التابع للسؤال إشارة أخرى بأن إجابة البابا، ستختلف عندما يتعين كلامه بالمسلمين أو باليهود، الذين يمثلون موضوع السؤال التالى لسؤال الإسلام فى الكتاب نفسه، وإن كان قد صيغ تحت مسمى «إسرائيل» وليس «اليهودية» لكى يتفادى نيافته الوقوع فى مأزق عدم

اعتراف اليهود للآن بعيسى ابن مريم إلهًا». وهو الخلاف العقائدى الجذرى بينهما، والذى لم يُحل حتى الآن: فقد أصبح اليهود، بعد أن كانوا أعداء ألفى عام مضت، هم: «الإخوة السابقون فى الإيمان» وذلك منذ المجمع الشهير، أما المسلمون فهم أعداء اليوم، وأعداء الزمن الممتد منذ بداية انتشار الإسلام، وكشفه لما تم فى المسيحية من تحريف، ويَتَأَيَّهم البابا فى فهم أن المسلمين هم «الإخوة الذين عادوا بالتوحيد إلى مساره».

فلا فرق بين «الله» في أى رسالة من الرسالات التوحيدية أصلاً، كما أنزلها سبحانه وتعالى على موسى، وعيسى، ومحمد ﷺ: إن الرسالة واحدة، وهى أن نعبد الله سبحانه وتعالى، خالق كل شىء، وألا نشرك به أحدًا، وبذلك كانت إجابة أبناء يعقوب عليه السلام عندما سألهم يعقوب عن عبادتهم، قال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ (البقرة: ١٣٣).

الفقرة الأولى:

يستشهد البابا بجزء من البند الثالث من البيان الختامى للمجمع، والمسمى «فى زماننا هذا» (٢٨/١٠/١٩٦٥م) وهو البند المتعلق «بالدين الإسلامى». وهذا البند مكون من فقرتين تقعان فى تسعة عشر سطرا. وتتناول الفقرة الأولى: تحديد معنى الإسلام، وتطالب الفقرة الثانية: بنسيان العداوات والسعى إلى الفهم المتبادل.

وقد استعان البابا بالجملة الأولى لهذا البند غير أنه لم يكملها، وتقول بقية الجملة: «والذى تحدث إلى البشر»..... وحذف البابا لهذا الجزء من الجملة، قد لا يدل على شىء فى نظر القارئ، غير أننا لو ربطنا هذا الموقف بالظروف المحيطة بصياغة هذا البند أيام المجمع، وكان نيافته من الأعضاء المشاركين الأساسيين، إذ كان بدرجة أسقف وفى منتصف الأربعينيات من عمره تقريبًا، لأدركنا الجانب الآخر من موقفه، ومعنى ما قام بحذفه.

ونبدأ بما يتضمنه كتاب «فاتيكان اثنين» الصادر عام (١٩٦٦م)، عقب انتهاء المجمع ببضعة أشهر، والذى يتضمن الجلسات التمهيدية، ومحاضرها، وكيفية صياغة البيانات، والتصويت عليها. أى: إنه من الكتب - إن لم يكن الكتاب الرسمى الخاص ببعض كواليس ذلك المجمع.

والجزء الخاص بالدين الإسلامى بقلم الأب «كاسبار»[1] ويقع فى ست وثلاثين صحيفة، (من ٢٠١ إلى ٢٣٦). ومما يدعو إلى السخرية، أن نطالع فى بداية هذا البحث: «أن المجمع لم يتعرض لمشكلة الإسلام ولا لمشكلة الديانات غير المسيحية بصفة عامة، إلا خلال دورته الثانية (١٩٦٢م)، وبشكل عرضى وغير متوقع» أى إنه لم يكن فى الحسبان. بل لقد هاله صمت ممثلى الكنائس الشرقية، وعدم قيامهم بالإشارة إلى الإسلام فى اجتماعاتهم

(١) أستاذ علم الدين الإسلامى فى المعهد البابوى، للدراسات العربية فى روما، ومستشار السكرتارية لغير المسيحيين، وكان عضوًا فى اللجنة الخاصة بالإسلام فى سكرتارية وحدة المسيحيين.

«وكأنهم لا يعيشون فى تواجد متواصل مع الإسلام والمسلمين»!

ويدأ الأب كاسبار بتوضيح الحذر الشديد فى تناول قضية الإسلام، وكيف أن الأساقفة المسئولين عن التبشير، لا يتحدثون عنه إلا فيما ندر، لأنهم يعتبرون «أن الإسلام خطأ مطلق لابد من رفضه، لأنه يمثل خطرًا بالنسبة للكنيسة، ولابد من محاربته» (ص٢٠٢). ولقد أثيرت قضية الإسلام لأن البطريارك «ماكسيموس» الرابع أوضح انه لا يمكن أن يتحدث المجمع عن اليهود، دون أن يتناول الديانات الأخرى وخاصة الإسلام.

ويوضح الأب كاسبار كيف جاءت صياغة الفقرة الأولى من البند الخاص بالإسلام: «وأبناء إسماعيل ليسوا غرباء أيضًا على الرسالة التى نزلت على الآباء، لأنهم يعترفون بإبراهيم كأب لهم ويؤمنون أيضًا برب إبراهيم» (ص٢٠٣)... وكان النص يتضمن هامشا يوضح أن «أبناء إسماعيل» هم المسلمون.

وعلى الرغم من قصر النص الذى أشاروا به إلى الإسلام، إلا أن الأب كاسبار، يوضح كيف أنه قوبل باعتراض جامح من أغلبية الحاضرين عند التصويت. وذلك اعتراضًا على أن تعبير: «ليسو غرباء على الرسالة التى نزلت على الآباء» قد يفهم منها حل للمسائل الصعبة التى دار حولها الجدل طويلاً من قبل، أى: أن سلالة العرب من إسماعيل، وخاصة ربط الإسلام بالرسالة الإنجيلية، ولكى لا يبدو وكأن الله قد خاطبهم أيضًا» (ص٢٠٥).

وتم تعديل النص لاستبعاد الإشارة إلى أن العرب من سلالة إسماعيل، الابن البكر لإبراهيم، وبالتالى استبعاد قرابتهم السلفية لإبراهيم للمسيحيين أصلاً، أو أنهم أبناء عمومة، واعترض البعض ثانية. وأعيدت صياغة النص للمرة الثالثة بكل التحايلات الممكنة للحفاظ على ما فرضه معقل التعصب.

ويقول كاسبار عن التعديل الأخير: إنه يضع سيدنا إبراهيم «فى موضع

النموذج الذى يحتذى به المسلمون فى إيمانهم لخضوعه لرغبة الله، ولا يضعه فى أصل سلالتهم، ولا فى موضع جدهم الأول، على عكس الصياغة الأولى، التى كانت تبدو تأكيدًا لانحدار العرب من ابنه البكر المفدَّى «إسماعيل» وتأكيدًا لشخصيته كما وصفها القرآن» (ص٢٠٢).

ويعلق الأب «ميشيل لولنج»(١) على الصياغة الأخيرة قائلاً: «وهذه الأسطر الخاصة بالإسلام، قد تبدو جد قليلة، بين النصوص المتعددة التى أقرها المجمع الفاتيكانى الثانى. لكن إذا ما قارناها بما كان عليه موقف المسيحية تجاه عقيدة المسلمين، ومجتمعاتهم طوال عدة قرون، لأدركنا أهمية هذه الوثيقة الرسمية ومدى الآفاق التى تفتحها بالنسبة للمستقبل»، «الكنيسة الكاثوليكية والإسلام» (١٩٩٣م، ص٢٨)، وهو استشهاد لا ينتقد «بأدب» قصر نص البيان، وإنما يشير أيضًا إلى ما كان عليه موقف المسيحية من الإسلام والمسلمين، طوال عدة قرون.

ولم نورد ما تقدم إلا لتوضيح أن معقل الفاتيكان، وكواليسه يعلم تمامًا معنى الإسلام وموقعه بالنسبة للمسيحية واليهودية، وموقفه منهما، وكيف أنه التنزيل المكمل للرسالة التوحيدية، وقد أتى مصوبًا لما اقترف من تحريف. ولا يدل حذف البابا يوحنا بولس الثانى لنهاية الجملة الأولى فى استشهاده، إلا على مدى تعصبه، وإصراره على استبعاد حتى أن الله قد خاطب المسلمين أيضًا... وأنه قد خاطبهم بالطبع بالوحى إلى سيدنا محمد ﷺ، والذى يواصل البابا محاولة محو اسمه، أو تحريفه، كما سنرى عما قليل.

(١) عضو جمعية الآباء البيض. حاصل على ليسانس فى اللغة العربية وآدابها، وعلى دكتوراه فى الأدب، وله العديد من المؤلفات. وهو السكرتير العام لجماعة الأبحاث الإسلامية - المسيحية.

الفقرة الثانية:

تكشف هذه الفقرة عن كيفية اختلاق البابا للمواقف. بغية الزج بعبارات تفى بغرضه.

فما العلاقة بين جماعة تشاهد، أو تتأمل رسومات جدارية، وعبارة «لا يوجد هنا أى شىء يصل إلى جمال ديننا التوحيدى المسلم»؟!

أولاً: نقول للبابا: إن صياغة نيافته للعبارة خطأ، فما من مسلم يقول: «ديننا التوحيدى المسلم» وإنمان نقول: «الإسلام» لأن الإسلام لفظ مطلق شامل، قائم على التوحيد المطلق. ولم يزج البابا بهذه العبارة فى رده إلا ليبرز: «شعوره المسبق بما سيكون عليه ذلك الحوار بين المسيحية والإسلام»، فى الوقت الذى يقول فيه – قبل هذه العبارة ببضعة أسطر. إن ذلك الحدث وقع له «أيام شبابه»، أى عندما كان فى العشرينيات من عمره، ولم تكن فكرة المجمع فى الآفاق بعد، بل لم يكن نيافته قد دخل السلك الكنسى بعد! ففى أيام المجمع كان فى منتصف الأربعينيات، لأنه حاليًا عند تأليف الكتاب، فى الخامسة والسبعين من عمره.

ومن الواضح أنه لم يكتب هذه العبارة إلا لمحاولة الزج بتأكيده على فكرة تعصب المسلمين وتعنتهم، وإن كان فى واقع الأمر، قد قام بعملية إسقاط لتعصبه الصلد ضد الإسلام والمسلمين.

الفقرة الثالثة:

تتضمن هذه الفقرة النقاط الأساسية التالية:

١ - «سباق الاختزال» للوحى الإلهى المسيحى فى القرآن.

٢ - صدمة القارئ لمدى «عدم فهم القرآن، لما قاله الله عن نفسه». وهذا الذى قاله الله عن نفسه ينقسم إلى شقين:

أ - ما قاله فى العهد القديم عن طريق الأنبياء.

ب - وما قاله «بصورة نهائية عن طريق ابنه» (كما يقولون).

٣ - إن الإسلام قد ترك جانبًا هذا الثراء الخاص بالكشف الذاتى لله، والذى يمثل تراث الإنجيل بعهديه.

وهى نقاط تعنى: أولاً: التشكيك فى مصداقية القرآن، لعدم تضمنه «الحقائق»، التى نسجتها الأيادى العابثة على مر الزمان، وصدمة القارئ لمدى عدم فهم القرآن للرسالة التى أتت أولاً: عن طريق الأنبياء فى العهد القديم، ثم بصورة نهائية عن طريق ابنه (كما يقولون)، أى ليست بعده أية رسالات أخرى؛ إذ إنها تتوقف عند السيد المسيح.

ولا يتسع المجال هنا لنعرض على نيافة البابا، كل ما يثبت مصداقية القرآن آية بآية، فما من حرف إلا وهو عين الصدق المنزل. ولن نستشهد سوى بآية واحدة، يقول فيها الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:٩).

ولسنا بحاجة إلى إضافة: لولا يقين الكنيسة بمصداقية القرآن الكريم، وصدق تنزيله على النبى الأمى - ﷺ - لما ظلت تستميت فى محاولاتها الدؤوب لاقتلاعه على مدى أربعة عشر قرنًا، بكل ما لديها من ترسانة مؤججة!!

وحقنا لكل هذا الجهد المنبت، ولكل ما يتضمنه من شر، ندعو البابا

هنا إلى تأمل الآية﴿ .... وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾... والحافظون هذه تعنى صيغة اسم فاعل من فعل مستقبل مطلق. وذلك هو ما تؤمن به أمة الإسلام؛ لذلك هى لا تقوم بالرد على هجوم التعصب بمثل ما يفعل، وإنما تدافع عن كيانها بما بقى لديها من إمكانيات، وهى: الإيمان بالله سبحانه وتعالى وبكل حرف قاله.

ولا نود أن نضيف: ضرورة اطلاع البابا ما بخزائن وأقبية ودهاليز الأرشيف السرى للفاتيكان الذى يرأسه، وليطالع ما يحتوى عليه من نصوص، تثبت الأباطيل التى يتزعمها ويقود الترويج لها، وهى نفس الدهاليز ونفس الأرشيف، الذى اكتشف فيها المجمع الشهير خطأ موقفهم بالنسبة لليهود، فسارعوا بتبرئتهم من دم المسيح، كما ظلوا يرددون على مدى ألفى عام. وتكفى الإشارة إلى الحرص الشحيح، الذى تمت به صيغة بيان المجمع الخاص «بالدين الإسلامى» والذى أوضحنا شذرات منه منذ قليل. وهو ما يكشف من ناحية: يقين معرفة الكنيسة بحقيقة الإسلام والقرآن، ويكشف من ناحية أخرى: دأبها الرخيص على طمس معالمه.

إن المرء ليصدم بالفعل، ويالهول الصدمة!! لا من عدم مصداقية القرآن، وإنما من كل ذلك الإصرار اللحوح على طمس معالم الحق ونوره، وفرض التلاعب والتحريف. وهو ما يمثل المأساة الحقيقية للكنيسة. تلك المأساة القائمة على فرض وغرس التحريف قهرًا، وقمعًا، وقتلاً. فكل التاريخ الدامى لكنيسة التعصب، على مدى ألفى عام يشهد بذلك. وليس المجال هنا للإشارة إلى ما قامت به من مجازر لسحق كل من عارض - أو عارضوا تأليه السيد المسيح، أو مساواته هو والروح القدس بالإله عز وجل - الأمر الذى يدفع الأتباع إلى التباعد صمتًا - آثرين التسلل بعيدًا، بدلا من الوقوع تحت براثنها؛ وهو ما تطلق عليه مراجع الغرب: النزيف الصامت للكنيسة.

أما استخدام البابا لعبارة «بصورة نهائية عن طريق ابنه» فهى تتضمن

من ناحية: الإصرار على كل ما فرضه التيار المتعصب فى الكنيسة، من تحريف على حياة عيسى ابن مريم وتعاليمه، منذ أيام بولس؛ ومن ناحية أخرى: غلق باب النبوة دون سيدنا محمد ﷺ، وجعل السيد المسيح خاتم الأنبياء، و«الوسيط الوحيد بين الله والبشر» والذى «لا خلاص لأحد إلا من خلاله»!

نعم. إن القرآن يخلو من كل ذلك التراث القائم على التلاعب بالنصوص فى الإنجيل بعهديه، وأمرنا باحترام التنزيل السابق، والإيمان بكل من أرسلهم من رسل وأنبياء.

وليس المطلوب من أحد أن يغير دينه وإنما المطلوب هو أن نعبد الله، ونخلص له الدين وألا نشرك به أحدًا.

قال تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ.... ﴾ (المائدة: ٤٧) وليس بما تم فيه من تحريف وإضافات وتعديلات، مازالت تتم. الأمر الذى لم يعد من الممكن إخفاؤه بعد كل ما كتبه الأمناء من رجال الكنيسة، على الأقل لكى لا نذكر سوى الأب «لوازى»، والأب «رودلف بولتمان»، أو الأب «درويرمان».

الفقرة الرابعة:

يتناول البابا هنا، وبأسلوب يفتقر إلى أبجدية الآداب العامة، وبإصرار غريب، فيشير إلى الفرق بين الله القرآنى، وكأنه قاصر على القرآن فحسب، أو أنه من ابتداعه، والذى يظل بعيداً عنا، فهو مجرد لفظ لا قيمة ولا مضمون له، رغم كل ما يطلق عليه من أسماء حسنى!! وليغفر ولا عجب فإنه لا لوم على فاقد البصر والبصيرة.

وقد يكون للبابا عذره فى عدم فهم القرآن باللغات الأجنبية، التى ترجمت معانيه بتحريف قائم على توجيهات الكنيسة، غير أنه نظرًا للمكانة التى يتبوأها نيافته، والألقاب التسعة التى يحمل أمانة رئاستها وقيادتها، ومسئولياته حيال الملايين، التى يقودها إلى التعتيم والضلال، تحتم عليه ـ ولو من باب العلم بالشىء ـ أن يلجأ إلى أحد أساقفته، الذين يجيدون العربية، ليقرأ له القرآن فى لغته العربية المنزلة!

إن الإسلام دين شديد الوضوح والبساطة، لا حاجة به للقمع والقهر لفرض تعاليمه على الأذهان. إنه دين قائم على الإيمان بالله وحده، خالق الكون، سيده ومدبر شئون ملكوته، والإنسان مجرد مخلوق فى هذا الكون، الذى تم تسخير ما فى سمواته وأرضه من أجله؛ أى إن سيادة الكون لله وحده لا شريك له، والإنسان مجرد سيد فى هذا الكون، وليس سيدًا له؛ وكافة آيات التوحيد تشير إلى التوحيد المطلق ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ...﴾ (محمد: ١٩).

وبذلك، فالإسلام ـ قطعًا ـ ليس دين فداء؛ لأنه لا يقر بدعة الفداء هذه، وبالتالى فهو لا يعطى أية مساحة للصلب ولا للبعث ـ بالمفهوم المسيحى ـ ؛ لأنها أسطورة منسوجة من أجل التحكم فى الأتباع؛ ولذلك أيضًا يقوم الإسلام على الحاكمية المطلقة لله سبحانه وتعالى، ويلغى طبقة رجال الكهنوت، ولا يقر وجودها، وهو ما حاولت الثورة الفرنسية أن تقوم به فى أواخر القرن

الثامن عشر، الأمر الذى مازالت الكنيسة تحاول اقتلاع آثاره من ضمن ما تحاوله من أعمال.

فالقول بأن الله ـ عز وجل ـ مجرد لفظة جلالة لا تعنى شيئاً، والقطع بأنه ليس معنًى، وإنما هو غريب بعيد عنا، لدليل ـ فى نظرنا ـ على قمة الكفر بمطلق وجود الله، وبمطلق سيادته للكون، ولن نكف عن تكرار أنه ليس المطلوب من أحد أن يغير دينه، وإنما المطلوب هو العودة بالمسيحية إلى أصولها المنزلة لتستقيم الأمور.

وهنا لابد من الإشارة إلى ألوهية المسيح، التى أقحمها يوحنا فى إنجيله، أو تم إقحامها فيه، غير واردة فى الأناجيل المعتمدة الأخرى، ولا نعتقد أن هذا الموضوع الذى تقوم عليه المسيحية الحالية، من البساطة حتى لا تشير إليه الأناجيل الأخرى.

وليس المجال هنا لعرض بقية الاختلافات، ومنها ما يتعلق باللحظات الأخيرة ليسوع: فكل إنجيل يتناولها بطريقة تخالف الأخرى، إن لم تكن تناقضها، وفترة بقائه على الصليب ـ كما يقال ـ أو فترة ما بعد الوفاة؛ وخاصة ذلك المشهد المسرحى الذى ينفرد به إنجيل متى، وهو مشهد لا يمكن لمخلوق أن يغفله لهوله. فالأرض التى تنشق، والقبور التى تتفتح، والأجساد التى تخرج، وتتجول بأكفانها فى المدينة (متى ٢٧: ٥١، ٥٣) ليست بالمشهد الذى يمكن لأحد أن يسقطه من إنجيله!

بل حتى الصرخة التى يقال: إن يسوع أطلقها اختلفوا فى نصها، واختلف المؤرخون فى تفسيرها، وكذلك مكان ضربة الحربة فى صدره، ومدة بقائه مدفونًا، بل حتى النص، الذى تم وضعه على لسانه، والذى يحدد هذه المدة بثلاثة أيام (متى ١٢: ٤٠) فى حين أنه لم يبق سوى ليلة واحدة بحساب الأحداث والأيام، وحتى الكفن اختلفوا فيه: فمن قائل: ملاءة، ومن قائل شرائط أو لفائف.... إلخ. ولم نشر إلى هذه الشذرات إلا لتوضيح أنها

برمتها مجرد إضافات وتعديلات، تمت وفقًا لمقتضيات الساعة.

ولا يتسع المجال هنا لتناول كافة المراجع القديمة والحديثة، التى تشير بالوثائق إلى هذا العبث، ولا نذكر سوى «جيرالد ميسادييه» الذى أوضح فى كتابه بالأدلة والبراهين أن: السيد المسيح لم يمت مصلوبًا ولم يتم تكفينه. كما يؤكد الباحث: «إن المنبع الأصلى الذى يشار إليه بحرف (Q) اختصارًا لكلمة (Quelle) وتعنى المنبع، أى: النص الذى أخذت عنه الأناجيل الأربعة لا يتضمن شيئاً عن آلام يسوع» «**الرجل الذى أصبح الله**» (ج٢ صفحة ٢٥٦).... أى إنها أضيفت فيما بعد[1].

نعم. إن القرآن الكريم لم يذكر يسوع إلا كنبى من الأنبياء، وهو ما قاله السيد المسيح عن نفسه فى أكثر من آية، ومنها: «للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد» (متى ٤: ١). «.... أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله» (يوحنا: ٨: ٤). «...... والكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للآب الذى أرسلنى» (يوحنا ١٤: ٢٤). وذلك بخلاف الآيات الصادرة عن الحواريين، وتدل على أنه نبى من الأنبياء، وليس بإله!.

ولا دليل على تورط البابا وفقدانه الموضوعية وانخراطه فى غياهب التعصب، من الإصرار على استخدام لفظة «ماأوميه» للدلالة على سيدنا محمد ﷺ وهو ما دأب الغرب المسيحى على استخدامه لكى لا يستقر اسمه الكريم ﷺ فى الأذهان. فمن قائل مافوميه، وبافويه، وما توموس، وماكوميتس، وماكومتو، لينتهى بهم الأمر إلى لفظه «ماأوميه» التى نسجها التعصب الفرنسى، ويستخدمها البابا فى أكثر من موضوع فى كتابه الأخير موضوع هذا البحث، وكأنه يواصل «مباركة» ما يقومون به من تحريف بدلاً من تصويبه. ومن الداعى إلى السخرية أن نراهم يجيدون كتابة اسم محمد، كما ينطق تمامًا إذا ما كان يتعلق بشخص آخر سوى خاتم المرسلين.

---

(١) وقد تناولنا هذه النقطة بشىء من الإسهاب فى كتاب «محاصرة وإبادة، موقف الغرب من الإسلام»

أما فيما يتعلق بالسيدة مريم، فمن الإجحاف المضلل أن نقرأ فى إجابة البابا: «ومريم أيضًا، الأم العذراء قد ورد ذكرها»! ويكفى المسلمين فخرًا، أن القرآن كان أول من كرم السيدة مريم العذراء، بأن نفى عنها فريات اليهود، التى مازالوا يقرونها، ولم يتوبوا عنها؛ نعم يكفينا فخرًا أن الله سبحانه وتعالى قال عنها: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ (التحريم: ١٢)، كما قال تعالى عنها: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٤٢). أى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد دافع عنها من اتهامات اليهود لها بالزنا والحمل سفاحًا، وأشار إلى إيمانها وتصديقها لقول الله وكتبه، وإلى إيمانها وتعبدها؛ كما أوضح الله عز وجل أنه قد اصطفاها أى: اختارها من الصفوة مرتين: اختارها لشرفها وعباداتها، واختارلها لجلالها بأن جعلها خير وأفضل نساء العالمين. ذلك هو القرآن وما قاله، والذى قام نيافة البابا بطمسه فى عبارة «ذكرها أيضًا»!!

ويكفى المسلمين فخرًا، مرة أخرى، بأن القرآن الكريم قد كرم السيدة مريم، أشرف نساء العالمين، قبل الكنيسة نفسها، والتى لم تهتم بتكريمها إلا لأغراضها السياسية، أو لدرء نتوءات يفرضها التحريف والتلاعب؛ فالمسيح – إلها – لا يليق أن تظل أمه مرتبطة بالخطيئة الأولى؛ فيتم تأليهها واختلاق حمل أمها بها حملاً إلهياً.

وهنا لا يسعنا إلا أن نسأل البابا «ممثل يسوع المسيح على الأرض، والمتحدث باسمه» أليس من الواجب أيضًا استبعاد مولد نيافته عن وصمة الخطيئة الأولى، وإشراكه رسميًا فى قاموس الألوهية؟! حتى وإن كان ذلك سيتطلب إضفاء نفس السمات على الكرادلة المعاونين له، والذين أضفى عليهم مشاركته فى السلطة الإلهية المسندة إليه!.

ولم نكتب ذلك مزاحًا، وإنما لتوضيح أن كل تحريف يتطلب سلسلة

أخرى من التحريف... وهكذا... إلى مالا نهاية.

أما إشارة البابا إلى أن «علم اللاهوت» فى الإسلام يختلف تمامًا عن اللاهوت المسيحى. فلا نود تكرار القول: إنه حتى فى هذا المجال قد خانته المعلومات العامة!.. فلا يوجد علم لاهوت فى الإسلام، لأن الإسلام لا يقر وجود طبقة الكهنة، المبتدعة للاهوت، والمتحكمة فى الأتباع من خلال غياهبه؛ وإنما يوجد علم «أصول الدين» الذى يطلق عليه أيضًا علم الكلام، أو العقيدة، أو التوحيد، أو الفقه الأكبر.... وهو ليس بلاهوت على الإطلاق، أى: إنه ليس حكرًا على طبقة بعينها فحسب، وإنما يمكن لكل مسلم أن يقدم على دراسة هذا العلم، والتعمق فيه إلى ما شاء الله.

ونفس الشىء بالنسبة لما يطلق عليه البابا «علم الإناسة» الذى يختلف تمامًا فى القرآن عن «علم الإناسة» فى اللاهوت المسيحى. إن عظمة القرآن تكمن فى أنه يتناول سير الأشخاص الذين يتحدث عنهم، سواء أكانوا من الأنبياء والرسل، أم من الملوك والعامة، يتناولهم من الجانب المطلق المجرد الرامز إلى ما يميزهم ـ بالنسبة لحدث مًا ـ والذى لا يمكن اختصاره إلى أقل من ذلك وإلا فقد معناه، بينما العلم فى الأناجيل قائم أو مرتبط بالتعديل، والتبديل، ومقتضيات الظروف السياسية أو الصراعية ومتطلباتها. وهو ما لا يعرفه القرآن، ولله الحمد.

الفقرة الخامسة:

وهنا أيضًا، يؤسفنا أن نبدأ بالإشارة إلى المستوى الضحل لمعلومات البابا العامة، وإلى الاستهتار الساخر الذى يتحدث به عن المسلمين، وعن إخلاصهم للصلاة: إن عبارتى «دون أى اكتراث لا بالزمان ولا بالمكان»، إن من يطلق على الإله «الله» يسقط على ركبتيه، ويستغرق فى الصلاة عدة مرات فى اليوم لتكشف الكثير - لا جهلاً بأبسط مبادئ الإسلام فحسب، وإنما بأبسط مبادئ الذوق فى التحدث عن الآخرين!

إن عدد الصلوات الخمس وتوقيتها من أبجدية المعلومات العامة عن الإسلام، فأن يجهل البابا أنها تؤدى فى زمان محدد ووفقاً لعدد محدد، فذلك جهل لا يضير إلا صاحبه. والمسلم لا «يسقط» على ركبتيه، وإنما يركع، ويسجد له وحده، مثلما كانت الصلاة قديمًا ركوعًا وسجودًا لله وحده الذى لا شريك له، وذلك حتى أيام السيد المسيح عليه السلام.

فقد كان أيضًا يصلى ساجدًا لله وحده، وهو ما نطالعه فى العهد الجديد، إلى أن قامت الكنيسة «بتعديل» ذلك أيضًا.

أما أن يشعر البابا بالحسرة على «هؤلاء المسيحيين الذين يهجرون كاتدرائياتهم الرائعة، وقليلاً جدًا ما يصلون أو قد لا يصلون بتاتًا»..... فلا يسعنا إلا أن نؤكد لنيافته أن ذلك هو حصاد ما زرعه التعصب، والتحريف الكنسى على مر العصور. فالإيمان لا يتواجد فى القلب بناء على روعة الكاتدرائيات، وبذخ ما تحتوى عليه من نفائس ومجوهرات، ولا بما يفرض قهرًا بعيدًا عن المنطق دون مناقشة، وإنما يوجد الإيمان فى قلب الإنسان اقتناعًا بما يُعرض عليه... والإسلام يتميز بالبساطة والوضوح، وذلك هو سر بقائه وانتشاره..... فأبسط ما يمكن أن يعرف به الإسلام، حديث الرسول ﷺ: «قل: لا إله إلا الله ثم استقم» أى: التوحيد المطلق بالله، والاستقامة فى كل شىء.

أما المسيحية الحالية فهى قائمة على التبديل والتغيير ورتق كل ما ينجم من تهتكات، لا يقبلها العقل، مما أدى إلى عقيدة متناقضة المنطق والتركيب؛ وإلا لما اضطرت الكنيسة الهولندية إلى إصدار كتاب تعليم دينى جديد، عام (١٩٩٦م)، يخلو من ذكر تركيبة التثليث، وما إلى ذلك؛ لعدم استطاعة رجال الكهنوت هناك مواجهة الأتباع، أو الرد على أسئلتهم المحرجة الأمر الذى أدى بالبابا يوحنا بولس الثانى إلى إصدار كتاب التعليم الدينى الجديد الذى سبقت الإشارة إليه..

الفقرة السادسة:

لقد تمخض المجتمع الفاتيكانى الثانى عن عدة قرارات، لا سابق لها فى التاريخ. ولا يسع المجال لتناولها بالتفصيل، وإنما سنعرض للنقاط الرئيسية التى تمس هذه الفقرة من رد البابا على السؤال الخاص بالإسلام، ويكفى أن نشير بداية إلى الصفة التى أصبح يشار بها إلى ذلك المجمع على الصعيد العالمي، وهى: أنه أول مجمع هجومى فى التاريخ على كافة المستويات؛ ذلك أن من أهم قراراته:

العمل على إسقاط الشيوعية وإحياء الكنيسة الأورثوذكسية بدلاً عنها.

اختلاق العام المريمى وظهورها عدة مرات لتهيئة الجو.

تبرأة اليهود من دم المسيح كما يقولون، واعتبار المسيحيين هم شعب الله، حاليًا!

توصيل الإنجيل لكافة البشر، أى العمل على تنصير العالم.

إقرار الحوار مع الديانات غير المسيحية وبخاصة الإسلام لتنصيرهم.

التأكيد على معصومية البابا من الخطأ وإضفاء سلطاته الكهنوتية على مجموعة من الكرادلة الذين يلونه كمعاونين له. ولا نفهم كيف يكون البابا هو «المنتخب إلهيًا» لتمثيل المسيح، والتحدث باسمه، ثم يقوم بتوزيع هذه السلطات الكهنوتية الإلهية المتفردة على طاقم من المساعدين؟!!

كما قام المجمع بإقرار: أن عملية الفداء قد تمت من أجل خلاص كافة البشر لتبرير عملية تنصير العالم؛ وهو ما يدفعنا إلى التساؤل حول هذا التناقض؛ لكى لا نستخدم عبارة أخرى؛ فكيف يخططون لتنصير العالم، ويقومون باتخاذ الإجراءات اللازمة لذلك، ومنه فرض استخدام الكنائس المحلية فى عملية التنصير هذه، ومضاعفة إرساليات التبشير، وإنشاء «السينودس» ويعنى: «المجلس الدائم لأساقفة الكنيسة العالمية» والذى تتلخص

مهمته فى إعلام وإرشاد مقر العمليات العالمى، الخاضع لرئاسة البابا، إلى جانب عقد المجامع الأسقفية الخاصة بالتبشير والإرساليات فى مختلف أنحاء العالم. كيف يتم ترتيب وممارسة كل ذلك ثم يتحدثون عن «احترام» الديانات الأخرى وإجراء «الحوار» معها!.... غير أننا لو عرفنا معنى «الحوار» فى المجال الكنسى البابوى لبطل العجب.

فالحوار يعنى، كما ورد فى الخطاب الرسولى للبابا المعنون بـ : «رسالة الفادى»، التى يؤكد طوالها، كيف أن عملية فداء المسيح قد تمت من أجل كافة البشر: «إن الحوار يمثل جزءًا من رسالة الكنيسة التبشيرية»، ويرى نيافته أن الإسلام: «من الديانات التى تحتوى على شوائب وأخطاء»، مؤكدًا «أن الخلاص يأتى من المسيح، وأن الحوار لا يعفى من التبشير بالإنجيل». كما ينص هذا الخطاب على تضافر الغرس الثقافى، والتبشير ومواكبتها من خلال الحوار.

فالحوار، فى المفهوم الكنسى، مجرد ذريعة لكسب الوقت بغية التسلل، وإتمام عملية الغرس التبشيرى، والثقافى بلا مقاومة تذكر؛ أو كما يقول البابا فى ذلك الخطاب نفسه:

«إن الكنيسة تستعمل الحوار، لكى تحسن حمل الناس على الارتداد والتوبة عن طريق تجديد ضميرهم، وحياتهم تجديدًا عميقًا، فى ضوء سر الفداء والخلاص، إن الحوار الصحيح يرمى - إذن بادئ ذى بدء - إلى تجديد كل الناس بالارتداد الباطنى والتوبة مع احترام كل الضمائر».

ولا يفوت البابا أن يوضح كيف «أن الكرسى الرسولى يسعى إلى التدخل لدى حكام الشعوب والمسئولين عن مختلف المحافل الدولية، أو الانضمام إليهم بمحاورتهم، أو إخضاعهم على الحوار لمصلحة المصالحة وسط صراعات عديدة».

ويختتم البابا هذا العرض لمفهوم الحوار عنده بتوضيح أنه «لا يمكن أن

ينطلق أبدًا من موقف لا مبالاة تجاه الحقيقة، لكنه بالأحرى يقوم بعرض هذه الحقيقة بهدوء، ونفس طيبة تحترم أفهام الآخرين وضمائرهم... وحقيقة الإنجيل ـ هذه ترمى إلى الارتداد الخاطئ، والاتحاد بالسيد المسيح!.

وبما أن الإسلام يمثل «خطأ مطلقًا لابد من رفضه؛ لأنه يمثل خطرًا بالنسبة للكنيسة، ولابد من محاربته» (فاتيكان اثنين صفحة ٢٠٢). فذلك يعنى أن كل المسلمين خُطَّاء، عليهم الارتداد عن خطأهم المطلق، والاتحاد بالسيد المسيح!.

ولا تعليق لنا على هذا الوضوح، الذى يلقى بأضواء لها معناها على ما يدور حاليًا، من مؤتمرات، ولقاءات فى تلاحق محموم، على كافة الأصعدة وفى مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية، والتى تتمخض فى كل مرة عن تنازل ولو ضئيل من جانب المسلمين، سواء أكان ذلك جهلا أم عن عمد!.

الفقرة السابعة:

يوضح ما تقدم معنى الحوار فى مفهوم البابا، ولا نجد هذا الشرح فى «رسالة الفادى»، فحسب تلك الرسالة التى يؤكد فيها «إلتزام الكنيسة بالحوار يظل صلبًا، ولا رجعة فيه» (البند ٥٤)، وإنما تجد تنويعات مختلفة، وبدرجات تتفاوت، من مجرد التفسير العابر إلى تكريس رسالة بأسرها عن الحوار، كتلك التى تسمى «الحوار والتبشير» (١٩٩١م). فما يدور حاليًا عملية غرس استيطانى تطبيعى دينى، غرس قائم على إيقاع متتابع، تحت مسمى السلام، بغية كسر الحواجز النفسية، التى تقف حائلاً فى أى عملية تطبيع.

والغرس التبشيرى من العبارات الجديدة التى تم إدخالها فى المجال الكنسى حديثًا، وتعنى: «غرس البشارة فى الأرض الثقافية لمنطقة مَّا».

يوضح البابا يوحنا بولس الثانى معنى ذلك الغرس الثقافى فى خطابه المعنون: «**الرسل السلافيون**» قائلاً: «إن الغرس الثقافى يعنى: تجسيد الإنجيل فى الثقافات المحلية، وفى نفس الوقت إدخال هذه الثقافات فى حياة الكنيسة» أما فى خطابه المعنون «**الحوار والتبشير**» فيقول عن هذا الغرس إنه يعنى: «تجسيد التبشير فى الثقافة ، والتراث الروحى للذين تتوجه إليهم الكنيسة، حتى لا تكون الرسالة المبلغة إليهم مفهومة فحسب، وإنما بحيث تبدو، وكأنها إجابة على تطلعاتهم الدفينة، أى أنها حقًا النبأ السعيد الذى ينتظرونه».

وهو ما يقصده نيافته عند توضيح، كيف أن لقاءات الصلاة الجماعية، التى يدعو إليها ممثلين من كافة الديانات التوحيدية، وغير التوحيدية؛ تتم «من منطلق هذا المنظور» أى: من منظور الحوار للإقناع «بحقيقة الإنجيل التى ترمى إلى ارتداد الخاطئ والاتحاد بالسيد المسيح.

وفيما يلى مثال لهذا التلاعب بالألفاظ والمعانى المتلفعة بعبارات السلام: ففى لقاء بلده «أسيز» المنعقد فى (١٩٨٦/١٠/٢٧م) قال نيافته: «إن

حقيقة حضورنا إلى هنا لا يتضمن أية نية ترمى إلى البحث عن إجماع دينى بيننا، أو أن يؤدى إلى مفاوضات، حول معتقداتنا، كما لا يعنى أيضًا: أن الديانات يمكنها أن تتصالح على مستوى ارتباط مشترك فى مشروع أرضى، يتعداها كلها ولا يعنى أيضًا: تنازلاً للنسبية فى مجال المعتقدات الدينية، لأن كل إنسان، يجب عليه أن يتبع بأمانة ضميره المستقيم، بهدف البحث عن الحقيقة والانصياع إليها» **رسالة الكنيسة** مجلة فصلية (١٩٩٢، العدد ٩٦، ٩٧ صحفة ٢٧).

وفى نفس الصفحة، من نفس المجلة، وبعد عدة أسطر تطالع ما يلى:

قام البابا يوحنا بولس الثانى بالتعليق على لقاء أسيز» فى خطابه يوم (١٩٨٦/١٢/٢٢م) الموجه إلى كرادلة، وأعضاء الإدارة البابوية.. وهذا الخطاب جدير بالدراسة والتأمل؛ لأنه يتناول تأملاً لاهوتيًا كبير الأهمية، يبرز نقاطًا جديدة، ومنها قوله:

- «بعد عشرين عامًا من مجمع الفاتيكان الثانى، تأكد الحوار وتم تشجيعه».

- «إن الانفتاح وصل إلى درجة اقتراح تعاون حقيقى».

- لقد انتقلنا من لاهوت للديانات غير المسيحية إلى لاهوت لديانات العالم، أى: إن الديانات الأخرى لم يعد تقييمها قائما بناء على علاقتها بالكنيسة الكاثوليكية، وإنما بناء على علاقتها بالخلاص العالمى، الذى اقترحه الله عن طريق المسيح من خلال الروح القدس.

- ونتيجة طبيعية لذلك، فإننا نؤكد على «تمركز» كل المستقبل الإنسانى حول موضوع وحدة الخليقة والفداء (راجع: «**فى زماننا هذا**» الفقرة الأولى).

وتختتم المجلة ذلك الجزء بآخر فقرة قالها البابا، فى اجتماعه مع الكرادلة وأعضاء الإدارة البابوية، عن لقاء «أسيز» هذا، والذى نطالع فيه:

«إن الهدف الإلهى الوحيد والنهائى، يتمركز فى يسوع المسيح، الإله والإنسان الذى يتعين على كافة البشر أن يجدوا فيه اكتمال الحياة الدينية، والذى تصالح فيه كل شىء، ونفس الطريقة فلا يوجد مخلوق لا رجل ولا امرأة، لا يحمل فى ذاته علامة أصله الإلهى، ولا يوجد مخلوق يمكنه أن يظل خارجًا، أو حتى على هامش عمل يسوع المسيح، الذى مات من أجل الجميع، إذن فهو منقذ العالم».

ونفس الأسلوب المزدوج نراه فى أسفاره الرسولية المتعددة حتى حينما يكون «أغلب السكان من المسلمين» ـ على حد قوله ـ فذلك لا «يمنع من أن يكون استقبال البابا حارًا ولا من أن يتم الإنصات إليه باهتمام» ومجرد استخدامه لفظة «البابا» بدلاً من أن يقول: «استقبالى»، وهو الأسلوب الذى يستخدمه طوال الكتاب الذى نحن بصدده، إلا أنه يرمى إلى تأكيد صفته الكنسية وتوضيح أن المسلمين متعطشون إلى أقواله الكهنوتية.

ونود أن نلفت نظر البابا إلى معلومة بسيطة عن الإسلام، وهى أن الإسلام يحتم على صاحب المكان إكرام الضيف ثلاثة أيام، وأن هذا الكرم له آدابه من حسن ضيافة وإنصات ورعاية، ولا علاقة له بضمير الضيف المستتر، ولا بأغراضه الخبيثة!.

الفقرة الثامنة:

يستشهد البابا فى هذه الفقرة برحلته إلى المغرب عام (١٩٨٥م)، التى كانت «حدثا على المستوى الرعوى حقيقة» أى على المستوى الكنسى التبشيرى.

ويستشهد البابا بمدى «افتتاح الشباب لخطاب البابا حول الإيمان بالإله الوحيد»، وتفضح هذه العبارة تلاعب نيافته بالألفاظ، ويعقول الحاضرين من الشباب، والذين قد يجهل أغلبهم ما وراء محدثهم من خلفيات ممتدة على مدى ألفى عام. والبابا يعلم تماما أن الإسلام دين يقوم على التوحيد، ولا يعبد إلا الله وحده لا شريك له؛ فأن يتوجه إلى هذا الشباب المسلم بحديث عن «الإله الوحيد فذلك لا يعنى فى نظر هؤلاء الشباب سوى الله سبحانه وتعالى الذى لا شريك له.

وإذا ما تصفحنا بعضًا مما ورد بهذا الخطاب، الذى ألقاه يوم (١٩/٨/١٩٨٥م) لأدركنا فحواه غير الصادق وغير الأمين، إذ يقول نيافته:

«إن الحوار بين المسيحيين والمسلمين أصبح ضرورة اليوم، أكثر من أى وقت مضى. إن الكنيسة تنظر باحترام إلى مسيرتكم الدينية، وتعترف بنوعيتها، وبثراء تراثكم الروحى نحن أيضًا - معشر المسيحيين - فخورون بتراثنا الدينى، وأعتقد أننا مسيحيون ومسلمون يجب علينا أن نعترف بسعادة: بالقيم الدينية المشتركة بيننا وأن نشكر الله عليها فكلانا يؤمن بالله، الإله الوحيد، العادل الرحيم، نؤمن بأهمية الصلاة، والصوم، والزكاة، والعقاب والغفران، نؤمن بأن الله سيكون حاكمًا رحيمًا بنا فى نهاية الزمان، ونأمل أنه بعد البعث سيكون راضيًا عنا، ونحن راضون عنه، إن الأمانة تقتضى، أيضًا، أن نعترف ونحترم خلافاتنا، إنها خلافات هامة، يمكننا تقبلها بتواضع واحترام، وفى تسامح متبادل، إننا مسيحيون ومسلمون عادة ما أسأنا فهم بعضنا بعضًا، وأحيانا فى الماضى قد تعارضنا، بل وأهلكنا بعضنا فى

صراعات وحروب أعتقد أن الله يدعونا اليوم إلى تغيير عاداتنا القديمة علينا أن نحترم بعضنا، وأيضًا أن نشجع بعضنا، فى أعمال الخير، على طريق الله».

إن التعليق الوافى على هذا الجزء الصغير من الخطاب الطويل، الذى ألقاه البابا على شباب المغرب قد يحتاج إلى مجلد بأسره، لما فيه من تلاعب بالألفاظ وطمس للحقائق.

ولن نشير هنا سوى إلى بعض العبارات، ومنها ذلك «الاحترام» الذى تنظر إليه الكنيسة إلى الإسلام، لكنها لا تعرف أن عليها الاعتراف به قبل أن تنطق بأى عبارة أخرى.

وذلك يجب أن يكون المطلب الأساسى لأى حوار، بالمفهوم الأمين للكلمة، فمثلما بحثت ونقبت فى أرشيفها السرى ـ كما نطالع فى البيان الرسمى بذلك ـ واكتشفت خطأها فى حق اليهود، عليها أن تبحث فى نفس الأرشيف السرى؛ لتكشف خطأها فى حق الإسلام والمسلمين، ذلك «الخطأ» الذى مازال البابا يتزعمه بكل أسف. وحواره الملتوى عن «الإله الوحيد» أوضح من أى تعليق.

أما خلافاتنا التى علينا أن «نتقبلها بتواضع واحترام، فى تسامح متبادل». فذلك أمر مرفوض بالقطع، لأنه يعنى الخروج على الإسلام لأن خلافانا الجذرى، قائم على نفس تحريف العقيدة وتأليه السيد المسيح وتجسد الله فيه إلى آخره. وقبول هذه التركيبة الثالوثية، بغض النظر عن أى احترام، ولا أى تواضع، يعنى الخروج عن تعاليم الله سبحانه وتعالى الذى نص على ألا نشرك به أحدًا، ولا يسع المجال هنا للاستشهاد بعشرات الآيات التى تدين الشرك بالله، ويكفى أن نذكر قول الله تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ...﴾ (المائدة: ٧٣).

﴿....وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (البقرة: ١٠٨).

أما عن إساءة فهم بعضنا بعضًا «أحيانا» فى الماضى، فلا يمكن أن نفى هذه العبارة حقها من الشرح والتعليق. فهذه الكليمة الساذجة شكلاً، تخفى وتطمس: مجازرَ، ودماءً سالت طوال أربعة عشر قرنًا، على كافة أنحاء العالم حينما امتدت أيادى التعصب ومخالبه.

ومقولة «إننا قد تعارضنا وأهلكنا بعضنا فى صراعات وحروب» لا أساس لها من الصحة، لمجرد وضع موقف كل من المسيحية والإسلام فى كفتين متساويتين. وكيف سنقيم المعادلة، إذ كانت الأولى شرسة الهجوم، والثانية ضحلة الدفاع حتى عن نفسها؟!

وهنا لا يسعنا إلا أن نقول: ليستجب نيافة البابا ـ كما يقول ـ إلى دعوة الله، ويغير «عادتهم القديمة» المتواصلة حتى يومنا هذا، وأن يكف تيار التعصب عن قيادة محاولة اقتلاع الإسلام لتنصير العالم، فالعقيدة القائمة على التحريف والتبديل والأكاذيب لا يمكن لها أن تستقيم أو تسود، إلا بالعودة بها إلى أصولها المنزلة. والعودة بها إلى حقيقة الله سبحانه وتعالى، وليس إلى «الحقيقة» اللاهوتية، وعندئذ ـ فحسب يمكن للمسلمين أن ينظروا بعين التقدير والاحترام إلى قوم دأبوا على تحريف العقيدة التوحيدية، ودأبوا على فرض تحريفها قهرًا، ثم تابوا وأفاقوا وآمنوا بما أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيهم عيسى ابن مريم.

الفقرة التاسعة:

تتناول هذه الفقرة التاسعة والأخيرة من رد البابا - الجانب السياسى - بشكل أوضح، حتى وإن كان من داخل إطار الدين، وهى فقرة يمكن تلخيصها فى عبارة: «صمود الإسلام»، وإن كانت تتضمن أربعة محاور، وهى:

أ - التيارات الأصولية التى تفرض «الدين الحقيقى» على كل المواطنين.

ب - الظروف المأساوية للأقليات المسيحية.

جـ - الأصولية تجعل الحوار صعبًا.

د - الكنيسة ثابتة فى استعدادها للحوار والتعاون.

ولن نعتب على البابا الصياغة غير الأمينة، وغير الصادقة بل والاستفزازية، إذ إن كافة إجاباته، بالكتاب موضوع هذا البحث تزخر بمثل هذه المآخذ، فمن الواضح أن تلك هى سمة خطابه بصفة عامة، لكننا سنبدأ بالإشارة إلى أصل الأصولية ونشأتها الكنسية حتى تتضح الأمور.

وكلمة الأصولية، مرتبطة ارتباطًا عضويًا بكلمة الحداثة، أو بما يطلق عليه «معركة الحداثة»، وتعنى هذه المعركة اختصارًا: المطالبة بدراسة وتنقية النصوص الإنجيلية مما أجرى فيها من تحريف وإضافات؛ والمطالبة بإنجيل يسوع، الذى أخفته الكنيسة، ومطالبتها بعدم التدخل لإعاقة الحركة العلمية وتطورها.

وكان فريق علماء الحداثة يتكون أساسًا من كنسيين، وانضم إليهم بعض المدنيين، أى إنها حركة قامت على أيدى أشخاص عالمين ببواطن الأمور، وليسوا دخلاء عليها.

وواكبت هذه الأحداث الفترة المعروفة باسم «صحوة العقل الفلسفى، والدفاع عن السلطة الأخلاقية للإنسان الحر» كنقيض للإنسان الخاضع للكنيسة وسلطانها، الذى أدى إلى طمس معالم التوجه إلى الله؛ ليصبح

التوجه إلى السيد المسيح، أو ما يطلق عليه: الازدواجية القطبية فى المسيحية.

وثار التيار المتعصب بشراسة وصلت إلى الاغتيالات، دفاعًا عن مصالحه التى أرساها غرسًا على مدى ألفى عام، وقام برفع درع «الأصولية» أى: التمسك «بالأصول»، وبكل ما تم بها من تحريف، بل واعتبارها منزلة!

وتوالت الخطب الرسولية التى تدين الحداثة وتدافع عن الأصولية، وأهمها الخطاب المعنون «سيلابوس» (١٩٨٤) ويحتوى على فهرس «بالأخطاء» التى أشار إليها العلماء التى يجب على الكنيسة أن تحاربها.

الخطاب المعنون «أشياء محزنة» (١٩٠٧م) الذى يعد بمثابة تكملة للخطاب السابق وإن كان على بعد أربعين عامًا تقريبًا، ومن باباوين مختلفين، لكنها استمرارية لمخطط واحد. بينما كانت تساندها تقارير لجنة محكمة التفتيش وتعليماتها، ومنها: سحب الكوادر الشابة الكنسية من حلقات البحث الدينى فى المعاهد والمدارس الدينية.

منعهم من الاشتراك فى المجلات، التى تروج «لبدعة الحداثة». ومنع ترسيم كل الذين تشبعوا بهذه الأخطاء الحديثة، ولا يوافقون على إنكارها.

ولم نذكر ما تقدم إلا لنوضح: أن الأصولية فى المجال الكنسى، تعنى الإصرار على التمسك بكل ما تم من تحريف فى النصوص الإنجيلية، وأن «الحداثة» فى نفس المجال الكنسى، تعنى كشف هذا التحريف. أما فى المجال الإسلامى، حيث القرآن الكريم منزل، ولم تمسه ولن تقترب منه الأيادى العابثة مهما حاولت، فإن معنى الحداثة هنا يأخذ مفهوم تحريف معانى القرآن والسنة والتلاعب بنصوصهما - وهو ما يستميت الغرب المسيحى حاليًا فى عمله - أما الأصولية، فى المجال الإسلامى، فتعنى المحافظة على الأصول سليمة، كما هى، والدفاع عنها ضد أى تحريف.

أما رد البابا فى هذه الفقرة الأخيرة، والبنود الأربعة التى يتضمنها،

فإن أول ما نشير إليه فى المحور (أ) هو تعميمه غير الأمين فى أن الأصوليين - حينما يصلون إلى الحكم - يقومون بفرض «الدين الحقيقى» على كل المواطنين، والمغالطة هنا لا تكمن فى انتقاده لعبارة «الدين الحقيقى» التى وضعها بين «شولتين» سخرية، أو لعدم صدقها فى نظره، ولن نعيرها التفاتًا، إذ أوضحنا ما فيه الكفاية لما يقوده هو شخصيًا من زيف وتعصب، وإنما تكمن المغالطة فى قوله عبارة: «على كل المواطنين» والتعميم هنا يعنى به الإخوة المسيحيين، وتلك هى الطامة الكبرى، لا فى مستوى معرفته بالإسلام فحسب، وإنما فى اتخاذه ذلك تبريرًا للتدخلات السياسية - الدينية - زعمًا للدفاع عنهم، والإسراع بعملية التبشير والتغريب.

وهنا نقول للبابا: إن الإسلام، لشديد الوضوح، إذ ينص على أنه ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...﴾ (البقرة: ٢٥٦). كما يقول بنفس الوضوح ﴿...فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ...﴾ (الكهف: ٢٩). أى إنه لا يمكن لمسلم يعلم أصول دينه ويتمسك بها - بل ويتهم من أجل ذلك بأنه من الأصوليين - أن يخالف آيات بمثل هذا الوضوح، خاصة إذا ما أضيف إليها آية أخرى تقول بنفس الوضوح ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ (العنكبوت: ٤٦).

أما مقولة نيافته عن ظروف هذه الأقليات «المأساوية» فهى مقولة تفتقر إلى نفس الصدق والمصداقية. فما من أقلية مسيحية فى العالم أجمع تتعرض لمأساة سوى مأساة تدخلات معقل الفاتيكان وإصراره على استخدام الكنائس المحلية فى عمليات التبشير والتنصير والحوار......إلخ.

الأمر الذى يضع هذه الأقليات فى حيرة مأساوية حقيقية حينما تتساءل ضمائرهم عن مصير ولائهم: أيكون للوطن الأم الذى نشأوا فيه ويأويهم، أم يخونونه إذعانًا للأوامر المتعصبة، ومتطلباتها، رغم كل ما بينهم من خلافات؟

فاستخدام الكنائس المحلية من قرارات المجمع الشهير، ومن قرارات

«السينودس» الذى تمخض عنه كما رأينا، ومن قرارات مؤتمر «كولوراد»، للتنصير الذى انعقد عام (١٩٧٨م)... إلخ.

ومن الطبيعى أن تودى الأصولية، بمفهومها الإسلامى السليم - وهو الدفاع عن الإسلام والمحافظة عليه من أى تحريف - إلى جعل الحوار - بمفهومه الكنسى، التبشيرى - شديد الصعوبة إن لم يكن محالاً. وهو المطلوب لا من الأصوليين فحسب، وإنما من كل مسلم مؤمن بدينه غيور عليه، وخاصة من كل المسلمين، الذين يشاركون فى مثل هذه المؤتمرات والمنتديات والصلوات.

ويختتم البابا رده المثقل بالمغالطات والاتهامات بعبارة تتلفع بالبراءة والتسامح، موضحًا أنه رغم كل هذه «المصاعب» التى ذكرها طوال أربع صفحات عن الإسلام والمسلمين، فإن الكنيسة ثابتة فى استعدادها للحوار وللتعاون. ولا نملك إلا أن نقول لنيافته: إن هذا الحوار وهذا التعاون الذى يعنى أحدهما: «إلزام الخاطئ الارتداد والدخول فى خلاص يسوع المسيح». بينما يعنى الآخر: «مساعدة الخاطئ على اجتياز عملية الارتداد مع احترام «أفهامه» والعمل على تجديد ضميره بالارتداد»، فهو أمر مرفوض بكافة المقاييس والأشكال والوسائل.

إنه أمر مرفوض حتى بإسقاط ديون العالم الثالث التى يلوح بها نيافته ثمنًا للتنصير أو إغراء به، فى خطابه الرسولى الأخير الصادر فى: (١٤/١١/١٩٩٤م)، بعنوان «عشية الألفية الثالثة»(١). وهو الخطاب الذى يعد بمثابة خطة خمسية للسنوات الباقية من القرن العشرين، ليكون الاحتفال عبارة عن تمجيد للثالوث، ينتهى بمؤتمر عالمى للقربان، وسبقه عملية إسقاط ديون العالم الثالث، ودعوة للحج والصلاة الجماعية: فى أماكن لها مغزاها بالنسبة للديانات التوحيدية»، وقد يكون نيافته يشير إلى «غزو» مكة وتبشيرها..!

(١) سنتناول هذا الخطاب فى البحث التالى «الخطة الخمسية».

وفى نهاية هذا العرض الموجز لرد البابا على السؤال القائل «ما الفرق بين الله عند المسلمين وإله المسيحيين؟»، الوارد فى كتابه المعنون «**ادخلوا فى الرجاء**»؛ وما تبعه من تعقيب أوردناه مختصرًا بقدر الإمكان، لا نملك إلا أن نقول للبابا «المعصوم من الخطأ» رسميًا بقرار من المجمع الشهير، أن يراجع ما ورد بإجابته من فريات، وأخطاء ضد الإسلام والمسلمين، إن لم يكن تنقية للضمير الذى سيلقى به الله، ولا من باب المعلومات العامة، ولا من باب احترام مسئولية الألقاب والمناصب التسعة التى يرأسها، فعلى الأقل استجابة لله الذى يقول: «إنه يدعونا إلى تغيير عاداتنا القديمة». وبما أن المسلمين كانوا دومًا فى موقف الدفاع عن النفس، مع الإصرار على التمسك بدين الحق المنزل وغير المحرف، أى إنه لا عادات هجومية لهم، فلماذا لا يبدأ نيافته ويضرب المثل الأعلى على الاستقامة والطاعة لله سبحانه وتعالى، ويتخلى عن كل ما يقوده، وما يحكيه من كمائن ومخططات، ومؤامرات، ومؤتمرات، ولقاءات «وصلوات مفرضة».....إلخ. لفرض كل ما نسجته الأيادى العابثة عبر المجامع على مر العصور.

ماذا لو تخلى نيافته عن كل هذه «العادات القديمة» قدم أربعة عشر قرنًا، واعترف بأخطائها، ليقود خرافه الضالة إلى إنجيل يسوع الحقيقى، وإلى رسالته التوحيدية التى بشر بها فعلاً وتاهت معالمها تحت أنقاض التحريف ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ.... ﴾ (المائدة: ٤٧).

عندئذ؛ وعندئذ فحسب؛ يمكننا أن ندخل فى حوار إنسانى صادق وبناء، من أجل سعادة وسلام الإنسانية بأسرها.

عندئذ فحسب؛ يمكننا أن ندخل فى حوار بمعناه الصادق الأمين. فلقد خلقنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ أممًا مختلفة؛ لنتعارف ونتعاون على إعمار الدنيا؛ لا لنعيث فيها فسادًا واقتتالاً.

الخطة الخمسية
للبابا يوحنا بولس الثانى
تنصير العالم

فى الرابع عشر من شهر نوفمبر (١٩٩٤م) أعلن البابا يوحنا بولس الثانى، في روما: خطابه الرسولى الجديد. والخطاب يدور حول الإعداد للاحتفالات الخاصة ببداية الألفية الثالثة لمولد المسيح، وهو بعنوان «**مع اقتراب الألفية الثالثة**» وهو صادر عن مطبوعات الفاتيكان. والتى قالت عنه جريدة «لوفيجارو» الفرنسية، الصادرة فى (١٥/١١/١٩٩٤): «إنه بمثابة بيان للسياسة التى يجب أن تتبعها الكنيسة»! و«البيان» هنا يأخذ معنى المنشور السياسى.

وموضوع بداية الألفية الثالثة من الموضوعات العزيزة على البابا. إذ إنه قد أثاره لأول مرة فى السابع عشر من شهر أكتوبر عام (١٩٧٨م)، فى كنيسة «سكستين» بالفاتيكان، فى الخطاب الذى ألقاه بعد تعيينه بسويعات فى منصب البابوية. وقد عاد إليه ثانية فى الرابع من شهر مارس عام (١٩٧٩م)، فى أول صفحة من خطابه الرسولى حول «**المسيح فادى البشر**».

ونجد نفس الفكرة فى خطاب رسولى آخر حول «رسالة الكنيسة»، الذى أصدره فى السابع من شهر ديسمبر عام (١٩٩٠م)، والذى كان بمثابة «النص المرجعى لآلاف الكاثوليك الفرنسيين الذين اجتمعوا فى مدينة «لورد» (من ٤ إلى ٩/١١/١٩٩٤م) فى لقاء بعنوان «تبشير الكوكب».

ومن هنا ندرك كيف أن موضوع الألفية هذا «مرتبط بضرورة عملية جديدة لتنصير العالم» على حد قول «جوزيف فاندريس»، مراسل جريدة لوفيجارو فى الفاتيكان (١١/١١/١٩٩٤م) والذى يواصل قائلاً: «إن عام الفين سيصبح إذن: «عام الخلاص» وعام استقبال ذلك الإنجيل الذى عرضه يسوع فى المعبد اليهودى بمدينة الناصرة، كرسالة تحرير لكافة شعوب العالم».

لذلك كان البابا قد دعى كافة الكرادلة إلى اجتماع عام فى يومى (١٣، ١٤ يونيو ١٩٩٤م) لمناقشة الإعدادات الخاصة بذلك «العام المقدس». واقترح المجمع الكنسى أن يكون الموضوع الرئيسى للاحتفال هو: «يسوع المسيح،

محور العالم وسيد تاريخه»، وأن تستعد كافة الكنائس المحلية لهذا الحدث طوال فترة الأعوام الخمسة القادمة، أى من ١٩٩٥ إلى ١٢٠٠٠.

وتكمن أهمية صدور هذا الخطاب الرسولى فى هذا التوقيت من شهر نوفمبر ١٩٩٤م، وبعد شهر واحد فقط من صدور آخر كتاب للبابا وهو بعنوان «**ادخلوا فى الرجاء**» فى أنه نفسه يرى ضرورة أن يستعد كافة الكاثوليك لعام الفين، بأن يضعوا أنفسهم فى الجو الطقسى الخاص بهم والمسمى «مقدمات أعياد الميلاد» والتى تبدأ قبل الخامس والعشرين من شهر ديسمبر بأربعة أسابيع.

والخطاب فى مجمله عبارة عن نداء لكافة الديانات المسيحية، وغير المسيحية لتشارك فى هذا الاحتفال، إلى جانب كونه «مجاهرة بالعقيدة الكاثوليكية لتتصير الكافة، وفقًا لها»، على حد قول إيلى مارشال فى نفس جريدة لوفيجارو. وقد استقى الكاتب عبارة «المجاهرة» هذه من نفس الشكل الاحتفالى الذى خطط له البابا فى إطار تمجيدى للثالوث ينتهى «**بجمع عالمى للقربان**»!!

والخطاب يقع فى سبعين صحيفة، وهو موجه إلى كافة رجال الإكليروس بمختلف رتبهم، وإلى كافة الأتباع المدنيين بمناسبة الإعداد ليوبيل عام ألفين.

ويتكون هذا الخطاب الرسولى من خمسة أقسام، تتضمن تسعة وخمسين بندًا، عناوينها كالآتى:

١ ـ «يسوع المسيح هو نفسه بالأمس واليوم».

٢ ـ يوبيل عام ألفين.

٣ ـ الإعداد لليوبيل الكبير.

٤ ـ الإعداد الفورى:

أ ـ المرحلة الأولى.

ب ـ المرحلة الثانية:

العام الأول: يسوع المسيح.

العام الثاني: الروح القدس.

العام الثالث: الله - الآب.

جـ ـ بغية الاحتفال.

٥ ـ «يسوع المسيح هو نفسه..... إلى الأبد».

ويتضمن القسم الأول ثمانية بنود، يوضح خلالها البابا: سر الثالوث ومساواة يسوع الأب، ومساواة الروح القدس ليسوع، وكيف أن «المسيح فادى العالم» هو الوسيط الوحيد بين الله والبشر (بند٤).

لأن «المسيح هو الله حقًا، وهو إنسان حقا، وهو سيد الكون وسيد التاريخ أيضًا، وهو البداية وهو النهاية» (بند٥).

ذلك لأن السيد المسيح لا يتحدث إلى البشر باسم الله، مثال الأنبياء، وإنما هو الله نفسه؛ الذى يتحدث فى كلمته الخالدة بعد أن تجسدت. وهنا نلمس النقطة الأساسية التى تفرق المسيحية عن الديانات الأخرى؛ التى لاح فيها منذ البداية بحث الإنسان عن الله. أما فى المسيحية؛ فإن نقطة الانطلاق هى تجسد الكلمة. وهنا لا يذهب الإنسان بحثا عن الله، وإنما الله هو الذى أتى شخصيًا للتحدث عن نفسه إلى الإنسان، كما يقولون، ليوضح له الطريق الذى سيسمح له بالوصول إليه.

وبهذه الصورة، فإن المسيح هو تحقيق لتطلع كافة ديانات العالم، ومن هنا فهو نهاية مطافها الوحيد والنهائى» (بند٦).

«وإن ديانة التجسد هى ديانة فداء العالم بفضل تضحية يسوع التى

تتضمن الانتصار على الشر، وعلى الخطيئة، وعلى الموت نفسه» (بند ٧).

أما فى القسم الثانى، الخاص بيوبيل عام الفين ويتضمن ثمانية بنود أيضًا، فيحاول البابا الزج فيه بأكثر من نقطة لها مغزاها: فمن ناحية، يقوم بتعريف عبارة اليوبيل والتفرقة بين احتفال اليهود لها، وبين المعنى الجديد الذى يضفيه عليها؛ وفى نفس الوقت يقوم بعملية تمهيد لاهوتية لمشروعه بإسقاط ديون العالم الثالث مقابل تنصيره، ومحاولة البرهنة ضمنًا وبلباقة تنساب وكأنها تلقائية، على أن العهد الجديد يتضمن تشريعًا! وهنا يقول نيافته: «بخلاف تحرير العبيد فى السنة السبتية، فإن الشرع كان ينص على إسقاط كافة الديون وفقا لمعايير محددة» (بند ١٢).

«وفى الإطار القانونى ارتسم بالتدريج مذهبًا اجتماعيًا، تطور فيما بعد بوضوح أكثر ابتداء من العهد الجديد» (بند ١٣).

ومن هنا يخرج البابا بأهمية هذه الألفية «لا بالنسبة للمسيحيين فحسب، وإنما بشكل غير مباشر للإنسانية بأسرها، نظرًا للدور القيادى الذى مارسته المسيحية خلال هاتين الألفيتين.

ومما له مغزاه، أن التقويم يتم فى كافة أنحاء العالم، اعتبارًا من مجيء المسيح فى العالم: وهذا المجىء هو أيضًا مركز التقويم الأكثر استخداما اليوم» (بند ١٥).

ثم ينتهى هذا القسم برجاء توحيد كافة الكنائس من أجل الإعداد لهذا اليوبيل وتحقيق بنوده الاحتفالية، معتبرًا سيادة التقويم الميلادى علامة إلهية على وجوب سيادة المسيحية وفرضها على العالم متناسياً أن الاستعمار هو الذى فرضه قهرًا وتغريبًا!

ويدور القسم الثالث، الخاص بالإعداد لليوبيل الكبير ويقع فى اثنى عشر بندًا، بإضفاء شرعية إلهية على هذا الاحتفال، والتوسع فى شرح وتبرير المجمع الفاتيكانى الثانى، مع إضفاء نفس الشرعية الإلهية عليه «لأنه

متمركز حول سر المسيح ومنفتح على العالم» (بند ١٨).

وهنا يوضح البابا: أن كل أحداث القرن العشرين «وكل ما وقع طواله يوضح، أكثر من أى وقت مضى أن العالم بحاجة إلى التطهر، وأنه بحاجة إلى الاهتداء إلى المسيحية» (بند ١٨).

أى إنه يربط بين الاحتفال بهذا اليوبيل وبين قرارات المجمع الفاتيكانى الثانى بشكل لا انفصام فيه، أو كأن هذا اليوبيل يأتى تتويجًا لقرارات ذلك المجمع «الذى تمخض عن تكوين العديد من المجامع الكنسية العامة، والقارية، والمحلية، والقومية، والأبرشية، وكلها تدور حول الموضوع الأساسى للتبشير، بل والتبشير الجديد الذى تم إرساء قواعده فى الخطاب الرسولى للبابا بولس السادس عام (١٩٧٥م)، والمعنون «**تبشير الإنجيل**» الذى أصدره عقب الجمعية الثالثة العامة للمجمع الكنسى للأساقفة» (بند ٢١). وهو المجمع الخاص بتنصير العالم.

ثم يتناول البابا يوحنا بولس الثانى، جهود البابوية فى روما باقتضاب، وكيف أنهم عملوا جميعًا وعلى التوالى للإعداد للاحتفال بهذا اليوبيل بصور مختلفة متناسقة، وكيف أن البابا بولس الثانى عشر (١٩٣٩ ـ ١٩٥٨م) قد «أعطى توجيهات شديدة الوضوح حتى بالنسبة لإقامة النظام العالمى الجديد بعد إسقاط الأنسقة السياسية السابقة» (بند ٢٢).

وفى البند (٢٧) يقول البابا: «من الصَّعب ألا نلحظ أن «العام المريمى» قد سبق عن قرب أحداث عام (١٩٨٩م) وهذه الأحداث لا يمكنها إلا أن تدهشنا باتساع مداها، وخاصة بسرعة سياقها، إذ إن أعوام الثمانينيات قد انساقت، وهى مثقلة بخطر متزايد، عقب الحرب الباردة وسنة (١٩٨٩م) قد أتت بحل سلمى، اكتفى إن أمكن القول، بشكل منظور «عضوى» وعلى ضوء

(١) هو الخطاب الرسولى الذى كتبه يوحنا بولس الثانى، بمناسبة مرور مائة عام على خطاب «الشئون الحديثة»

هذا الحل نشعر بأننا مدفوعون إلى الاعتراف بمعنى نبوئى للخطاب الرسولى المعنون «**الشئون الحديثة**»: فما كتبه البابا ليون الثالث عشر عن الشيوعية قد تم تحقيقه، مثلما أوضحت ذلك فى الخطاب الرسولى المعنون «السنة المائة»[1] ومن الواضح أنه يمكننا القول فيما يتعلق بهذه الأحداث: إن يد الله الخفية كانت تعمل باهتمام أمومى: فهل يمكن لأم أن تنسى ابنها الصغير؟ (عن ٤٩/١٥)».

الأمر الذى يوضح إلى أى مدى تتدخل الكنيسة الفاتيكانية فى الشئون السياسية لا فى بلدها فحسب، وإنما فى العالم أجمع.

وهذا « العام المريمى» الذى يشير إليه البابا كان بمثابة الغطاء الدينى الذى قام به لإحياء الكنيسة الأرثوذكسية فى الاتحاد السوفيتى، باختلاق ظهور العذراء ليبدو مخطط ضرب اليسار، وكأنه تم فى شكل «تطور عضوى» تسانده ما يكتبونه من «نبوءات» فى خطبهم الرسولية!! لذلك ينهى هذه الفقرة بالإشارة إلى يد الله الخفية و«اهتمامها الأمومى»، وهى عبارة تشير ضمنًا إلى: المرتبة التى قامت الكنيسة برفع السيدة مريم إليها فى الخمسينيات ومساواتها «بالله الثلاثى» بما أنها أم إحدى شخصياته الثلاث!!

ثم ينتقل البابا إلى ما بعد عام (١٩٨٩م)، أى بعد الأحداث التى ساهم فيها شخصيًا لإسقاط الشيوعية، قائلاً: «غير أن المخاطر الجديدة التى لاحت بعد عام (١٩٨٩م) والتهديدات الجديدة الناجمة عنها، قد أوضحت خطر صحوة القوميات، مثلما هو واضح فى أحداث البلقان، والمناطق القريبة، الأمر الذى يلزم الدول الأوربية بمراجعة ضميرها والاعتراف بالغلط والأخطاء التاريخية فى الحالات الاقتصادية والسياسية تجاه الأمم، التى قامت الإمبريالية فى القرن الماضى وفى القرن الحالى: بنهب حقوقها بدأب» (بند ٢٧).

والغلط الذى يعنيه البابا هنا هو ترك بعض البلدان الأوربية تقع فى

براثن اليسار السياسى والاقتصاد الاشتراكى.

أما فيما يتعلق بالإعداد الفورى لهذا اليوبيل، وهو موضوع القسم الرابع من هذا الخطاب الرسولى، ويقع فى سبع وعشرين بندًا، فإن أول ما يتفوه به البابا هنا، هو ضرورة مراعاة إمكانية تنفيذ هذا المخطط الاحتفالى فى كافة الكنائس المحلية، وبخاصة «تلك التى تعيش فى ظروف شديدة الاختلاف» (بند ٢٩). أى فى بلدان غير مسيحية.

لذلك يقوم بتقسيم الفترة الزمانية الباقية من القرن العشرين إلى مرحلتين، على أن تكون المرحلة الأولى: بمثابة إعداد الأتباع وتهيئتهم نفسيا بصورة عامة، ثم يتم التركيز بعد ذلك على المرحلة الثانية: وهى آخر ثلاث سنوات فى القرن العشرين، «تخصص كلها للاحتفال بسر المسيح المنقذ أى بسر تكوينه الثلاثى» (بند ٣٠).

ويرى البابا أن تتضمن المرحلة الأولى: الاعتراف بالأخطاء، والاهتداء، أى عملية المصالحة بين مختلف الكنائس واعتناقها لكاثوليكية روما.

وهنا يوضح البابا أنه «من المفيد أن تعبر الكنيسة هذه الفترة من بداية الألفية الثالثة، وهى مدركة تمامًا لكل ما عاشته طوال العشرة قرون الماضية، إذ أنه لا يمكنها أن تجتاز عتبة الألفية الجديدة، دون أن تحث أبناءها إلى التطهر، وذلك من خلال الندم على الأخطاء، والخيانات، والتناقضات، والتباطؤات، فالاعتراف بأخطاء الأمس تمثل: فعل أمانة وشجاعة، يساعدنا على تقوية إيماننا، ويجعلنا نتبصر إغراءات ومصاعب اليوم، ويساعدنا على مواجهتها» (بند ٣٣).

ويعنى البابا بأهم هذه الأخطاء، «تلك التى أدت إلى المساس بالوحدة التى أرادها الله لشعبه» (بند ٣٤).

والتمزقات التى تعرضت لها صفوف الإكليروس «التى تمثل فضيحة فى نظر العالم» (بند ٣٤).

ومنهـا «الموافـقـة - التى تمت بخـاصـة فى بعض القـرون - لاسـتـخـدام أساليب التعصب بل والعنف فى خدمة الحقيقة» (بند ٣٥).

ولكى ينصف الحكم على التاريخ يحدد البـابا: «إنه يجب أن نأخذ فى الاعتبار، الظروف الثقافية السائدة آنذاك، فقد اعتقد الكثيرون بكل صدق، تحت تأثيرها، أن الولاء الصادق للحقيقة هو إخراس رأى الآخر أو على الأقل تهميشه» (بند ٣٥).

ثم ينتقل البابا إلى أخطاء الحاضر ومنها: عدم المبالاة الدينية، وضياع مفهوم تعالى الحياة البشرية وتصعيدها، والتخبط فى المجال الأخلاقى حتى فيما يتعلق بالقيم الأساسية واحترام الحياة واحترام الأسرة، لذلك يرى أنه «يتعين على الأتباع مراجعة مدى تأثرهم بالعلمانية والدنيوية والنسبية الأخلاقية» (بند ٣٦.

وبخاصة: «أولئك الذين ينساقون إلى نوع من الديمقراطية ونوع من الاجتماعية التى لا تحترم الرؤية الكاثوليكية للكنيسة، ولا أصالة روح مجمع الفاتيكان الثانى» (بند ٣٦).

وينتهى هذا الجزء بضرورة إقامة مجامع كنسية أسقفية قارية، من قبيل المجمعين اللذيْن أقيما فى روما بشأن كل من أوروبا وأفريقيا، على أن يخصص واحد للأمريكتين، حول عملية التبشير الجديدة، وآخر حول آسيا التى تطرح فيها بصورة أكثر إلحاحًا عملية لقاء المسيحية، مع الثقافات والديانات المحلية الشديدة القدم. الأمر الذى يمثل تحديًا كبيرًا بالنسبة لعملية التبشير لأن الأنسقة الدينية، مثال: البوذية، والهندية، ذات طابع مشابه للمسيحية، إذ إنها تعتمد أيضًا على فكرة «منقذ» (بند ٣٨).

وهنا يؤكد البابا: إنه لمن الأمور الشديدة الإلحاح أن يتم انعقاد مجمع كنسى بمناسبة اليوبيل الكبير، لتوضيح وتعميق المذهب الخاص بالمسيح؛ الذى هو الوسيط الوحيد بين الله والبشر والمخلّص الوحيد للعالم، مع تمييزه

تماما عن مؤسسى الديانات الكبري الأخرى، والتى نجد فيها ـ رغم ذلك ـ بعض عناصر من الحقيقة، والتى تنظر إليها الكنيسة باحترام صادق، إذ ترى فيها انعكاسا للحقيقة التى تنير كافة البشر (بند ٣٨)، أى الحقيقة المسيحية.

كما يطالب البابا بانعقاد مجمع كنسى أسقفى آخر خاص بالمنطقة الأقيانوسية «حيث يجب عدم إهمال موضوع لقاء المسيحية مع تلك الأشكال الشديدة القدم من التدين والمتميزة باتجاه وحدوى، الأمر الذى له مغزاه الشديد» (بند ٣٨). ويقصد بها الديانة البوذية أساسًا: القائمة أيضاً على فكرة الفداء.

أما المرحلة الثانية لهذا المخطط، والتى تأتى بعد ما أطلق عليه تهيئة المناخ العام، فيرى البابا: أن تمتد على ثلاث سنوات، من (١٩٩٧ إلى ١٩٩٩م) «على أن تكون البنية الموضوعية لهذه السنوات الثلاث متمركزة حول المسيح، ابن الله وقد تجسد بشرًا، وهو احتفال لا يمكن أن يكون لاهوتيا، أى متعلقا بالثالوث» (بند ٣٩) على الطريقة الكاثوليكية.

فالعام الأول (١٩٩٧م) سيخصص للتأمل حول السيد المسيح، ويرى البابا: أنه لابد من التأكيد هنا على إبراز الطابع الشديد للمسيحية لليوبيل، الذى سيحتفل بسر الخلاص لكافة البشر: «يسوع، المسيح، المنقذ الوحيد للعالم، بالأمس، واليوم، وإلى الأبد» (بند ٤٠).

مع العمل على «إعادة اكتشاف المسيح منقذا ومبشرًا» (بند ٤٠).

مع إحياء مضمون الأسرار السبعة للكنيسة، وبخاصة التعميد، الذى يمثل وفقًا لكتاب التعليم الدينى الجديد (الذى أصدره البابا فى ديسمبر ١٩٩٢م): «أساس التقارب بين كافة المسيحيين، وكذلك بين كل الذين لم يتقاربوا بعد كلية من الكنيسة الكاثوليكية» (بند ٤١). أى اليهود والمسلمين وأتباع الديانات العالمية الأخرى.

وينهى البابا (البند ٤٤) من القسم ا لرابع لمخططه قائلاً: «ومن قبيل

الاهتمام بالواقعية، يجب عدم إغفال ضمير الأتباع فيما يتعلق بالأخطاء التى تمس شخص المسيح، مع توضيح المعارضات الواضحة ضده وضد الكنيسة بدقة» ولا يسع المجال هنا لتناول كل هذه المعارضات التى تمتد على مدى ألف عام.

والعام الثانى لهذا الاحتفال (١٩٩٨م) يكرسه البابا للروح القدس «بما أن سر التجسد قد تم بفضل الروح القدس المساوى للأب والابن» (بند ٤٤).

وهو عكس ما تؤمن به الكنائس الأرثوذكسية؛ ولم يفت البابا أن يوضح، أهمية الروح القدس فى نظره، فهو الفارقليط الذى سيرسله الأب باسمى يعلمكم كل شىء ويذكركم بكل ما قلته لكم (يوحنا ٢٦: ١٤) (بند ٤٤).

لذلك يرى البابا أنه يتعين على المسيحيين «أن يستعدوا لهذا اليوبيل بإحياء رجائهم فى المجىء النهائى لملكة الرب..... وذلك بإبراز قيم الرجاء الواضحة، فى نهاية هذا القرن..... والتى تتضح فى التقدم الذى أحرزه العلم...... والتزود بإحساس أكبر بالمسئولية حيال البيئة والجهود المبذولة لإقامة السلام والعدل فى كل مكان تم اغتصابها فيه، وإرادة المصلحة والتضامن بين الشعوب المختلفة وبخاصة العلاقات المعقدة بين الشمال والجنوب فى العالم.... والعمل على وحدة كافة المسيحيين، والأهمية المضفاة على الحوار مع الديانات ومع الثقافة المعاصرة» (بند ٤٦).

أما العام الثالث والأخير (١٩٩٩م) فسيخصص لتمجيد الأب الثلاثى التكوين، والعمل على إبراز قيمة المحبة والرحمة، خاصة وأن الطريق إلى العدالة والسلام فى هذا العالم «تحفه العديد من الصراعات وعدم المساواة الاجتماعية والاقتصادية المتعددة الأشكال» (بند ٥١).

وبعد أن قام بالتمهيد للمرة الثانية لعدم المساواة الاقتصادية الناجمة عن الإمبريالية، ونهبها لموارد العالم الثالث، أو لأهل الجنوب أينما كانوا.

يرى البابا أن تكون مناسبة اليوبيل هذه بمثابة «لحظة سانحة ليتم فيها

التفكير إلى جانب أشياء أخرى ـ لم يفصح عنها نيافته ـ فى تحقيق هام، إن لم يكن فى إلغاء بالكامل للديون الدولية التى تثقل على العديد من الأمم بذلك سيمكن لليوبيل تقديم فرصة التأمل حول تحديات أخرى للعصر، من قبيل: صعوبات الحوار مع الثقافات المختلفة والمشكلات المرتبطة باحترام حقوق المرأة ونشر مفهوم الأسرة والزواج» (بند ٥١).

ويوضح البابا فى البند (٥٢) لهذا المخطط، المنشور السياسى، أهم حقلىْ عمل يجب توليتهما عناية خاصة وهما «المواجهة مع العلمانية، والحوار مع الديانات الكبرى» وفيما يتعلق بالنطقة الأولى يجمعها فى عبارة «أزمة الحضارة» كما هى واضحة فى الغرب المتقدم تقنياً، وإن كان أكثر افتقارًا نفسيًا لنسيانه الله أو لتهميشه إياه.

أما فيما يتعلق بالحوار بين الأديان، فيرى أن تتم مواصلة ذلك الحوار «وفقا للتعليمات الشديدة الوضوح التى أملاها المجمع الفاتيكانى الثانى فى بيان «فى زماننا هذا» حول علاقات الكنيسة مع الديانات المسيحية» (بند ٥٣).

متمنيا إمكانية ترتيب لقاءات مع اليهود والمسلمين «فى أماكن لها مغزاها بالنسبة للديانات الكبري التوحيدية» (بند ٥٣).

لذلك يرى «دراسة إمكانية عمل لقاءات تاريخية فى بيت لحم، والقدس، وجبل موسى فى سيناء، وهى أماكن ذات قيمة رمزية عالية، بغية تكثيف الحوار مع اليهود ومع أتباع الإسلام وأيضاً ترتيب لقاءات مع ممثلى الديانات الكبرى فى العالم فى مدن أخرى. مع الحرص دوماً على عدم إثارة عمليات سوء فهم خطيرة عند مجازفة محاولات التوحيد السهلة والمخادعة» (بند ٥٣).

وفيما يتعلق بالاحتفال الكبير، فيرى نيافته «أن يتم ذلك فى آن واحد فى كل من الأراضى المقدسة، وفى روما، وفى كافة الكنائس المحلية للعالم أجمع» (بند ٥٥).

على أن تكون غاية الاحتفال هى: «تمجيد الثالوث» (بند ٥٥).

وأن يقام فى روما بهذه المناسبة «مؤتمر عام لسر القربان» (بند ٥٥).... أى أن يكون عام ألفين؛ هو العام الدولى للقربان أو عام الخلاص للعالم أجمع كما أطلق عليه.

وينهى البابا خطابه، بالإشارة الخاطفة حول إنجازات الكنيسة فيما يتعلق بعمليات التنصير فى العالم، موضحًا أنه على الرغم من انحسار المسيحية فى الغرب إلا أنها تزدهر فى كل من أفريقيا وآسيا، بفضل نشاط مبشريها، مؤكدًا: «إن الكنيسة ستواصل مهمتها التبشيرية فى المستقبل أيضاً، فالطابع التبشيرى يمثل بالفعل جزءًا من طبيعتها» (بند ٥٧).

ومن بين التعليقات الشحيحة التى صدرت حول هذا الخطاب فى الصحف الفرنسية، ما كتبه «هنرى تانك» فى جريدة لوموند (١٩٩٤/١١/١٥م) مشيرًا إلى أن «إعدادات البابا لا تفتقر إلى الجرأة أو إلى التنسيق.... إذ يبدأ خطابه بتأمل طويل حول مغزى قيمة الزمان ليؤكد على سيادة المسيحية على كافة الديانات، ثم يتناول سر التجسد ـ أى تجسد الله عز وجل فى السيد المسيح ـ، وهو السر الذى يمثل مولد المسيح بالنسبة للمسيحيين. ويوضح البابا فى هذا الجزء، كيف أن التراث الوارد بالعهد القديم بكله، يرمى إلى قضية انتظار «مسيح» وأن هذا المسيح فى نظره هو «عيسى» الذى أتى منذ ألفى عام لإتمام هذه الرسالة، بغض الطرف عن دقة التواريخ، إذ إن التراث المسيحى يحدد مولده بخمسة أعوام أو أربعة، قبل التقويم الميلادى، وهناك من يعود به إلى العام التاسع أو السابع قبل نفس التقويم!.

ويواصل هنرى تانك، عرضه للخطاب الرسولى قائلاً: «ويقرأ المرء بحرج شديد أحياناً تلك الصفحات التى يقول فيها البابا: إن دخول الله فى التاريخ البشرى بمثابة تطلع، نجده فى كل الديانات، إذ أن يسوع بالنسبة

للمسيحيين هو الله وهو إنسان فى آن واحد... وأن المسيح هو تحقيق تطلع كافة ديانات العالم، ومن هنا فهو نهاية مطافها الوحيد والنهائى»!

ولاشك فى أن الحرج الذى يشعر به كاتب المقال، ناجم عن إلغاء نيافة البابا للديانات الأخرى بجرة قلم، التوحيدية منها وغير التوحيدية، كما أنه حرج ناجم عن كل ما يعرفه الكاتب من معلومات مؤكدة تشير إلى كل ما تم فى المسيحية من تلاعب وتبديل، وتكفى عبارته القائلة: «وإن هذا «المسيح» فى نظره هو عيسى» فالثابت تاريخيا أن إشارات العهد القديم تلك لم تكن تعنى عيسى ابن مريم؛ وإنما تعنى سيدنا محمدا ﷺ، ويواصل الكاتب معلقًا على العبارة السابقة قائلاً: «إنه لا يشير إلى التراث التبشيرى الذى هو خاص باليهودية، ولا للتراث الإسلامى الذى لا يرى فى يسوع سوى نبى من الأنبياء».

ثم يوجز عرض البابا لقضية «التجسد» هذه والتى يقول عنها: إنها تجعل من الإنسان «كائناً روحيا وخالدا أساسا، والتى تتميز بها الديانة المسيحية وحدها» قائلاً: «إن هذا الطابع الاحتكارى المضفى على التجسد المسيحى، لم يمنع البابا من رؤية منظور توحيدى لضم الكنائس، بأوسع معانى الكلمة، وهو منظور يشمل، أيضًا، على العقائد اليهودية، والإسلامية والشرقية. التى ينوى البابا يوحنا بولس الثاني، أن يضمها للاحتفالات التى يعلن عنها بمناسبة بداية الألفية الثالثة للمسيحية. بل إنها المحور الأساسى لهذا الخطاب الأخير».

ثم يتعرض الكاتب هنرى تانك إلى الانقسامات التى اتسمت بها الألفية الحالية، والتى أوضح البابا أنها تشتمل على عدة قضايا منها التمزقات المؤلمة التى عرفتها جماعة الإكليروس، وهى انقسامات تتناقض صراحة مع إرادة المسيح، وتمثل فضيحة فى نظر العالم، إلا أن هذه الأخطاء المتعلقة بالماضى مازالت ترمى بثقلها للأسف. لذلك من الضرورى أن نقر بالذنوب ونعترف بها جهارًا، مستجدين غفران المسيح بقوة..... لأن الكنيسة لا يمكنها أن تجتاز عتبة الألفية الجديدة، دون أن تحث أبناءها على التطهير من خلال الندم على

الأخطاء والخلافات والتنافرات والتباطؤات» غير أن الكاتب يوضح قائلاً: «إن البابا لا يشير فى هذا الجزء من الخطاب إلى الجرائم التى وقعت باسم محاكم التفتيش الكاثوليكية أو عن طريق التنصير الإجبارى» ولا إلى «الحروب الدينية المسيحية» ولا إلى «مذابح الهنود الحمر على أيدى المبشرين (الكاثوليك)» ولا إلى «مذابح اليهود التى لم يشر إليها بكلمة أيضًا» الأمر الذى يلطخ الكنيسة وتعصبها بما يصعب اغتفاره على مر التاريخ فى نظر هنرى تانك..... وهى جرائم نضيف إليها مذابح المسلمين، التى لم يشر إليها لا البابا، ولا الذين تناولوا التعليق على خطابه، لكى لا نقول شيئاً عن مذابح الإسلام الدائرة فى كل مكان ولا عن كل ما عاناه المسلمون من محاولات، لاقتلاعهم بالقتل، أو بالتنصير، منذ الحروب الصليبية بصورها المختلفة حتى يومنها هذا. إلا أن البابا على ما يبدو لا يهتم سوى بما دار من قبل الآخرين من مجازر، متناسيا ما قام به التعصب الكاثوليكى منذ بداية مشواره.

ومن اللافت للنظر ـ من حيث القدرة على بتر الحقائق والمجاهرة بعكسها ـ أن يدغم البابا كل هذه الجرائم فى عبارة مقتضبة مغلفة تقول: «لا يمكننا ألا نأخذ فى الاعتبار الظروف الثقافية التى سادت آنذاك»!..... مجرد ظروف ثقافية!.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن الأخطاء والجرائم التى يتحدث عنها البابا تعنى: ما قامت به المذاهب والطوائف المسيحية الأخرى فى حق الكاثوليكية التى يترأسها، لذلك يطالبهم بالمجاهرة بأخطائهم، وبجرائمهم فى حق الكنيسة الأم، حتى يمكن جمع شملها.... وهو ما دفعه إلى توضيح: «إن أفضل إعداد لاحتفالات انقضاء ألفى عام لا يمكن أن يتم التعبير عنها، إلا بتجديد الوعد بالالتزام بتطبيق تعاليم مجمع الفاتيكان الثانى على حياة كل فرد وعلى كل كنيسة».

وقد شرع البابا بالفعل فى عملية إدماج الكنائس ـ بغض الطرف عن خلافاتها العقيدية الجذرية التى لم تحل ـ وذلك باتخاذ إجراءات إعادة

صياغة قوائم الشهداء وسائر القديسين لمختلف الطوائف المسيحية الأساسية فى قائمة واحدة، من أجل حث خطى تنفيذ عملية الكنيسة العالمية الموحدة، على أن تتضمن القائمة شهداء الكاثوليك، والأرثوذكس والأنجليكان والبروستانت، لأن «توحيد القديسين والشهداء ـ فى نظر البابا ـ قد يكون أكثر إقناعا فى التقريب بين الكنائس»!.

وفى نهاية هذا العرض الخاطف للخطة الخمسية للبابا يوحنا بولس الثانى، وهى خطة ملزمة لكافة السياسيين المسيحيين ولكافة الكنائس، بحكم عقيدة الإيمان وبحكم القانون الكنسى وشرائعه، وقبل الرد على بعض أهم النقاط الواردة به، لا يسعنا إلا أن نبدأ بالتساؤل حول ذلك المغزى الكبير وغير المعلن «لعام بأسره عن «القربان» والذى تسبقه عملية إسقاط هامة للديون الدولية التى تثقل على مصير العديد من الدول، إن لم يكن إسقاطًا كاملا لها؟! ترى هل سيتم إسقاط ديون العالم الثالث فى الأعوام القليلة القادمة شريطة تنصيره، أو ثمنًا له، والاحتفال بعد ذلك بابتلاع القربان تدشينا لذلك التنصير المدفوع الأجر؟!.

وإذا ما حاولنا استخلاص أهم النقاط الواردة فى هذا الخطاب الرسولى، سنجد أنها تتعلق بالموضعات التالية: الإنجيل. الكاثوليكية. يسوع. توحيد الكنائس واقتلاع الديانات الأخرى. الانقسامات. وضرورة الاعتراف بالأخطاء من أجل إقرار الحقيقة. مجمع الفاتيكان الثانى.

وعبارة «الحقيقة» من أهم العبارات التى يستخدمها البابا يوحنا بولس الثانى فى أحاديثه وخطبه..... تلك الحقيقة التى وصل ولهه بها، وإيمانه بأهميتها إلى درجة جعلته يفرد لها خطابا رسوليًا بأسره، صدر فى شهر أكتوبر عام (١٩٩٣م) بعنوان «روعة الحقيقة» (١).

والحقيقة رائعة... رائعة ولاشك فى روعتها رغم كل ما تسببه من آلام

(١) قمنا بالتعليق عليه فى كتابنا المعنون: «تنصير العالم».

ومعاناة أحيانًا... وهى لا تفرض نفسها إلا بقوة ما تحمله من حقائق - كما أوضح البابا فى مكان ما بخطابه هذا - إلا أن «الحقيقة» القائمة على الزيف والتحريف وطمس الحقائق التاريخية المعاشة تختلف عن الحقيقة الحقة.

وبما أن البابا لا يتناول، بل ولا ينظر إلا إلى نوع واحد من «الحقيقة» فقد رأينا أن نعرض لبعض الحقائق التى تعمد «إخراسها» أو «تهميشها» كما يقول عن الآخرين.

ولكى نضرب مثالاً لما نعنيه، نورد تلك العبارة التى قالها البابا عن الأخطاء السالفة للكنائس الأخرى: «لا يمكننا إلا أن نأخذ فى الاعتبار الظروف الثقافية التى سادت آنذاك». والقارئ العادى لهذه العبارة لا يرى فيها سوى المنطق السليم المحايد، غير أنه إذا ما قرأ ما أورده هنرى تانك فى عرضه للخطاب، وكل ما سرده من جرائم قامت بها الأيادى العابثة فى الكاثوليكية على مر العصور، لتغير موقفه.

وإذا ما حاولنا اتباع نفس المنهج فى عرض الجانب الآخر من الحقائق لأهم النقاط الواردة بهذا الخطاب الرسولى، أو بهذه الخطة الخمسية للبابا، لوجدنا صورة فظيعة نذكرها فيما يلى، إلا أننا نبدأ بفقرة مقتضبة حول الثالوث الذى يقام عليه الاحتفال برمته لنوضح:

إن الثالوث لم يرد ذكره إطلاقا فى الكتاب المقدس بعهديه، وإنه عبارة عن رمز تم نسجه على مر الأيام، وإن المسيحيين لم يعرفوا عبارة التثليث قبل نهاية القرن الثانى الميلادى. وإن أقدم استخدام لها وارد عند تيوفيلس الإنطاكى فى كتابه المعنون: «**إلى أوتوليكوس**». وقد أدى هذا التحريف الثلاثى لله سبحانه وتعالى إلي العديد من الانقسامات حتى بعد تثبيته رسميًا، أو إجباريًا فى مجامع القرن الميلادى الرابع. وهو محاولة للمزج بين تعاليم المسيحية كما أتى بها السيد المسيح، وبين الديانة الهالينية: التى هى امتداد للديانة المصرية القديمة. وذلك بغية اكتساب أكبر قدر من الأتباع. وهى نفس

العملية التى يحاول البابا القيام بها وتغافله الخلافات الحقيقية بغية تنصير العالم بأى ثمن وبأية وسيلة!.

الإنجيل: من المعترف به يقينًا أن الأناجيل المتداولة، حاليًا، قد تمت كتابتها بعد وفاة السيد المسيح بفترات، مازال الاختلاف دائرًا حول طولها؛ إلا أن الاختلافات العقيدية الشديدة الوضوح بينها، والإشارة فى بعضها إلى واقعة استيلاء الرومان على مدينة «القدس» آنذاك، لدليل قاطع علي أنها قد صيغت بعد عام سبعين ميلادية، دون أن نذكر شيئًا عن كل ما اعتراها من تغيير وتبديل ما زال يتم من طبعة لأخرى.... إلا أن ما نود التأكيد عليه هو: أنها قطعًا ليست «الإنجيل الذى عرضه يسوع فى المعبد اليهودى» وبالتالى فلا يمكنها أن تكون «رسالة تحرير لكافة شعوب العالم» كما يقول نيافة البابا!

الكاثوليكية: تشهد الوقائع التاريخية المعاشة بأن ما قام به التيار العابث المتعصب فى الكاثوليكية هو الذى أدى إلى الخلافات العقيدية الجذرية بين الكنائس، وإلى انقسامها إلى مذاهب متباينة متناحرة. وقد قام نفس هذا التيار العابث بفرض عبارة «هرطقة» على كافة هذه المذاهب المسيحية المنشقة عليه، بل وعلى الديانات الأخرى وبخاصة الإسلام الذى اتى كاشفا، ومصوباً لكل ما تم من تحريف أساسى فى المسيحية، وجرفها بعيدًا عن مسارها التوحيدى المنزل.

والتاريخ المعروف، المعاش، يقول: إن رسالة التوحيد نزلت على موسى عليه السلام، تشريعًا دنيويًا وأخرويًا. وإنه حينما انحرف اليهود عن مسارهم، أتى السيد المسيح عليه السلام، مصوبًا لهذا الانحراف فحسب، فهو القائل: «ما جئت لأنقض الناموس وإنما جئت من أجل خراف إسرائيل الضالة».

لذلك أتت المسيحية خالية من أى تشريع لأنها استمرار لنفس الناموس التوحيدى السابق، ولم تتضمن سوى توجيهات إنسانية لتلك «الخراف الضالة».

وحينما أصرت هذه «الخراف» على انحرافها وضلالها وتمادت فيه وفى تحريف رسالة التوحيد وشرائعها، أتى سيدنا محمد ﷺ مصوبًا لما ألَمَّ بالرسالة، وأنزل الله سبحانه وتعالى القرآن؛ تشريعًا؛ دنيويًا؛ وأخرويًا؛ لكل زمان ومكان. ذلك لأنه يتضمن أكثر من خمسمائة حكم من الأحكام المطلقة. والحكم المطلق هو الذى يمكن القياس عليه مجردا، فى أى زمان وفى أى مكان. فكيف يطالعنا البابا زاعما «سيادة المسيحية على كافة الديانات» وكيف يجاهر بسيادة الكاثوليكية التى يترأسها ويسعى لتصيير العالم وفقًا لها؟!.

يسوع: تقوم المسيحية الحالية على اعتبار أن الله عز وجل هو السيد المسيح، وهو نفس ما يواصل البابا على تأكيده، بل يصل به التعنت إلى درجة اعتبار «أن السيد المسيح هو تحقيق لتطلع كافة ديانات العالم وهو نهاية مطافها الوحيد والنهائى» كما يقول فى خطابه الأخير موضوع هذا البحث.

ولا يسع المجال هنا، لعرض كافة الوثائق الدالة على أن السيد المسيح عليه السلام كان نبيًا من أنبياء الله المرسلين وبخاصة مخطوطات قمران، أو البحر الميت المكتشفة عام (١٩٤٨م) ولن نستشهد بآيات القرآن الكريم، التى تؤكد ذلك، وإنما سنكتفى ببعض كلمات السيد المسيح نفسه كما هى واردة فى الأناجيل الرسمية المتداولة حاليا، حيث نراه يفرق بوضوح لا لبس فيه بينه وبين الله سبحانه وتعالى:

« ... فأجابه يسوع: إن أول كل الوصايا هى: اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد» (مرقس ١٢: ٢٩).

« ... لماذا يدعونى صالحًا، ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله» (متى ١٦: ١٩).

« ... اذهبى إلى إخوتى، وقولى لهم: إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم» (يوحنا ٢٠: ١٧).

«... قلت: امضى إلى الآب، لأن أبى أعظم منى» (يوحنا ١٤ : ٢٨).

«.. لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد» (متى ٤: ١٠).

«... ولا تدعـوا لكم أبًا على الأرض، لأن أباكم واحـد الذى فى السماوات» (متى ٢٣ : ٩).

«... أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله» (يوحنا ٨: ٤٠).

«... والكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للآب الذى أرسلنى» (يوحنا ١٤ : ٢٤).

كما أن هناك آيات للحواريين تدل بما لا يدع مجالاً للشك بأن السيد المسيح ﷺ كان نبيا من الأنبياء، ومنها:

«... هذا يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل» (متى ١١: ٢١).

«قد قام فينا نبى عظيم» (لوقا ٧: ١٦).

«... إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم» (يوحنا ٦: ١٤).

«يسوع الناصرى الذى كان إنسانًا نبيا مقتدرًا فى الفعل والقول أمام الله وجميع الشعوب» (لوقا ٢٤: ١٩).

وهنا لا يسعنا إلا أن نتساءل أيهما نصدق: السيد المسيح الذى تحدث بوضوح لا لبس فيه، أم نيافة البابا الذى يواصل عملية فرض ما تم نسجة على مر الأيام، لاستبعاد النبوة عن سيدنا محمد ﷺ، ومواصلة محاولة اقتلاع الإسلام التى بدأت منذ بداية انتشاره؟!

المنظور التوحيدى: تعد عملية توحيد الكنائس، تحت لواء كاثوليكية روما، من الملامح التى يتمسك بها محركو هذا التيار، منذ استيلائهم على السلطة فى القرون الأولى للمسيحية، غير أنه أصبح من القرارات الأساسية للكنيسة، منذ المجمع المسكونى الفاتيكانى الثانى (١٩٦٢ ـ ١٩٦٥م). ذلك

المجمع الذى قرر رفع عبارة «هرطقة» عن الكنائس الأخرى واعتبارها كنائس لإخوة منشقين» كما قام بإطلاق عبارة «الإخوة السابقين إلى الإيمان» على اليهود بعد تبرئتهم من دم السيد المسيح، كما يقولون، وبعد أن ظلت الكنائس تردد ذلك فى كل قداس من أيام الأحد على مدى ألفى عام تقريبا. وتمت المصالحة الشكلية السياسية، إذ إن المصالحة العقيدية - والمفروض أنها الأساس - متوقفة على اعتراف اليهود بالسيد المسيح إلهًا. الأمر الذى يرفضه اليهود جهارًا إذ إنه يعنى تنصير كافة يهود العالم بكلمة واحدة!!

فكيف يتغاضى نيافة البابا يوحنا بولس الثانى عن كل هذه الحقائق المعاشة، ويصر على «إخراس» أو «تهميش» كل هذه الخلافات العقيدية الجذرية بين المذاهب المسيحية بعضها بعضًا وبين المسيحية واليهودية، إلى جانب إصراره على إلغاء وجود الإسلام والديانات العالمية الأخرى لتوحيد شعوب العالم تحت لواء الكاثوليكية التى يترأسها؟!

الانقسامات: إن الانقسامات التى أشار إليها البابا على أنها «تمثل فضيحة فى نظر العالم» لا تمثل مجرد خلافات يمكن دمجها تحت عبارة شاملة واحدة، وإنما هى تصدعات عميقة ألمت بذلك البنيان القائم على التحريف؛ وهى تصدعات ناتجة اختصارًا لنفس الشكل الحالى للعقيدة والثالوث الذى لم يعد مقنعًا للأتباع. الأمر الذى دفع الكنيسة الهولندية - وهى الكاثوليكية أيضاً - إلى إصدار كتاب للتعليم الدينى عام (١٩٦٦م) غير ذلك الذى كان سائدا منذ القرن السادس عشر، لم تورد به ذكر عقيدة الإيمان ولا عبارة الثالوث. فقام البابا يوحنا بولس الثانى بإصدار كتاب جديد للتعليم الدينى، فى أواخر شهر ديسمبر عام (١٩٩٢م) يؤكد فيه تمسك الفاتيكان بموقفه وإصراره على إبقاء العقيدة كما تم نسجها بدءًا بتأليه السيد المسيح فى مجمع نيقيه الأول عام (٣٢٥) ميلادية وكل ما ترتب عليه من إضافات وتبديل.

ولا يسع المجال هنا لتناول مختلف موضوعات الانقسامات، والتى دفعت بالآلاف من رجال الإكليروس إلى الابتعاد عن الكنيسة وتحكماتها القمعية، وقد آثر العديد منهم مواصلة صلواتهم بعيدًا عن قبضتها، حتى أصبح اليوم فى الغرب ما يطلق عليه «الكنائس المنزلية».

وكل هذا الموقف برمته لا يمثل فضيحة فى نظر العالم، وإنما هو تعصب أكمه أصم لا يرى ولا يسمع..... أما الفضيحة الحقيقية، بكل ما تحمله من فجاج فى الخروج على تعاليم الله سبحانه وتعالى، هى مواصلة الإصرار بدأب، لا لفرض هذا التعصب على المسيحيين فحسب، وإنما على العالم بأسره!!

الاعتراف بالأخطاء: لاشك فى أن الاعتراف بالحق فضيلة..... وإن يطالب البابا الكنائس بإقرار ذنوبها والاعتراف بها، ويحث أبناءها على «التطهر من خلال الندم على الأخطاء والخيانات والتنافرات والتباطؤات» تعد من الفضائل التى تحسب له؛ غير أن ما يعنيه نيافته، هو أن تقوم الكنائس الأخرى بإقرار ذنوبها التى اقترفتها فى حق الكنيسة الكاثوليكية، والأخطاء التى اقترفوها بالانشقاق عليها، والخيانات التى قاموا بها بالابتعاد عنها، أو النفور منها، وكشف خباياها، والتباطؤ الشديد فى الرجوع إليها، إلى حصن الفاتيكان الأوحد والوحيد.

وهنا لا يسعنا إلا أن نطرح سؤالاً: أليس من الأفضل والأكرم للجميع، أن تبدأ الكنيسة الأم بضرب المثل، القدوة على «الأمانة والشجاعة» التى تطالب بها الكنائس الأخرى، وتعترف بكل ما قامت به الأيادى العابثة المتعصبة على مر التاريخ؟! أليس من الأفضل والأكرم، لنيافة البابا الذى يتغنى بالحقيقة وبروعتها، أن يبدأ هو بتطبيق معاييرها، والاعتراف بكل ما أدى إلى حيود المسيحية الحقة عن مصارها المنزل، وعن رسالتها التوحيدية التى لا تعبد إلا الله وحده لا شريك له، كما قال عيسى ابن مريم وكما نص

القرآن؟! أليست الحقيقة أروع وأصدق من التمسك بقرارات مجمع الفاتيكان الثانى الهجومية المتعصبة المصرة على التحريف والتزييف؟

مجمع الفاتيكان الثانى (١٩٦٢ ـ ١٩٦٥م): اتسم هذا المجمع: بأنه أول مجمع هجومى فى تاريخ المجامع، إذ إن المجامع المسكونية السابقة كانت تقام لتثبيت تحريف جديد أو للدفاع عنه، وقد صدرت عن هذا المجمع الفاتيكانى الثانى، قرارات لا سابق لها فى التاريخ الكنسى بأسره، ومنها: توحيد كافة الكنائس تحت لواء كاثوليكية روما؛ واعتبار المسيحيين شعب الله المختار ـ بدلاً من اليهود ـ بناء على العهد الجديد الذى أقامه بولس الرسول؛ وأن المسيح فادى العالم بأسره، وليس فرديًا لأتباع المسيحية وحدهم، كما كانوا يقولون من قبل، وفرض قسم محاربة الحداثة على كافة رجال الإكليروس، أى عدم السماح لهم بمساس النصوص الإنجيلية والإبقاء على كل ما تم بها من تغيير وتحريف؛ وتبرأة اليهود من دم المسيح (كما يقولون) وهى تبرأة سياسية بحتة لتوحيد الجبهة ضد الإسلام واستتباب الوضع فى فلسطين المحتلة لتأكيد غرض الكيان الصهيونى، وذلك رغم كل ما هو وارد ضد اليهود فى العهد الجديد من الإنجيل، حتى إن بعض الآيات أصبح من المحال قراءتها فى أى قداس لتناقضها مع ما اقترفوه سياسيًا بهذا الاعتراف. ومن قرارات المجمع أيضًا: توصيل الإنجيل إلى كافة البشر، استناداً إلى القرار السابق، والخاص بتعميم عملية الفداء التى لا أثر لها فى الإنجيل والاستعانة بالمدنيين والعلمانيين فى عمليات التبشير من خلال المنظمات غير الحكومية، إلى جانب مئات المنظمات التابعة للكنيسة مباشرة لتوصيل الإنجيل إلى العالم، وهو المقصود بعبارة «انفتاح الكنيسة على العالم» وإعادة تبشير مسيحيى الكتلة الشرقية وملحدى الغرب، بالإضافة إلى اقتلاع الديانات الأخرى وبخاصة الإسلام، الذى مازالت الكنيسة تصر على طمس الوثائق التى تثبت لديهم أنه أتى مصوبا ومكملا للديانة التوحيدية التى تم تحريفها. الأمر الذى جعل البابا يستشهد بآية الفارقليط التى سنتناولها عقب هذه

النقطة؛ كما نص المجمع على: أن تتم عمليات التبشير هذه واقتلاع الديانات الأخرى عن طريق الحوار بغية تجنب أية مصادمات، وهى أول مرة تستخدم فيها عبارة «الحوار» فى المجال الكنسى؛ والاستعانة بكافة الكنائس المحلية لإتمام عملية تنصير العالم.

وهنا ندرك ما معنى مطالبة البابا فى خطابه الرسولى هذا «بتجديد الوعد بالتزام كل فرد وكل كنيسة بقوانين المجمع الفاتيكانى الثانى». كما ندرك ما قد تم فرضه على الكنائس المحلية. الأمر الذى يعنى: أن كافة المسلمين، أينما كانوا، وسواء أكانوا يمثلون أغلبية البلد الذى يعيشون فيه، أم هم أقلية فيه، فهم بلا شك خاضعون الآن لعملية تنصير «بصبر ودأب» على حد قول البابا فى العديد من خطبه، وإن كانت تتم اعتمادا على التسلل البطئ وعدم المواجهة الصريحة.

ولا يسعنا هنا إلا أن نسأل نيافة البابا عن الصدق والأمانة فى الحوار المزعوم والذى يعنى «تنصير العالم»، كما قالها بصريح العبارة فى الخطاب الذي أشار إليه!.

الفارقليط: يستخدم البابا عبارة «الفارقليط» الواردة فى إنجيل يوحنا أكثر من مرة بمعناها المحرف إلى «الروح القدس» فالكلمة أصلاً كانت Perikleitos وتعنى «أحمد»، وهى الواردة فى إنجيل برنابا أيضًا والذى تم استبعاده، وقد تم تحريف الكلمة إلى Paraklytos لتعنى «المعزى» أو «المواسى» لاستبعاد النبوة عن سيدنا محمد ﷺ، وقد تناولنا عملية تحريف هذه العبارة بإسهاب فى بحثنا المعنون **«محاصرة وإبادة، موقف الغرب من الإسلام»**. ولا نورد بهذا الصدد سوى عبارة الأسقف «بنيامين كلدانى» الذى أسلم من جراء هذا التحريف قائلاً: «أتحدى بجسارة كافة الباحثين الضالعين فى اللغة اليونانية القديمة، أن يعارضونى عندما أعلن أن مترجمى النص السريانى واللاتينى، قاموا بأخطاء فادحة فى ترجمتهم (**محمد فى الإنجيل**،

ص ١٤٦)، وهى صيغة مهذبة لكى لا يقول «قد تم تحريفها إلى».

وقد كانت تكتب (فارقليط) بالعربية ثم تم تغييرها إلى معز أو مواس.

وإذا ما حاولنا اختصار كل ما تقدم من عرض لهذا الخطاب الرسولى، الأخير للبابا، والصادر يوم (١٤/١١/١٩٩٤م) إلى محاوره الأساسية لخرجنا بالنقاط الثلاث التالية:

١ ـ غاية الاحتفال: تمجيد الثالوث وفرضه على العالم.

٢ ـ مغزاه: إسقاط ديون العالم الثالث ثمنا لتنصيره.

٣ ـ أهم حقلى عمل أمام الكنيسة فى الفترة القادمة:

أ ـ المواجهة مع العلمانية.

ب ـ الحوار مع الديانات، وبخاصة الإسلام (والحوار فى مفهوم البابا يعنى التنصير).

وبعد هذا الوضوح الذى لا مواربة فيه، فى هذه الخطة الخمسية للبابا بغية تنصير العالم، والقيام بجولة «لها مغزاها» كما يقول، فى اقتفاء أثر مؤسس المسيحية كما يراها «إبراهيم وموسى وعيسى» تبدأ من مصر وسيناء إلى القدس، فى فلسطين المحتلة؛ وإصراره الغريب على مشاركة «اليهود وأتباع الإسلام» وقد عز على نيافته كتابة «المسلمين» مثلما كتب «اليهود»، وكأنه لا يعتبر للمسلمين وجودًا. ألهذا الحد يصعب عليه أن يقول عنا: «الإخوة الذين عادوا بالتوحيد إلى مصادره»؟ ولا يسعنا إلا أن نقول لنيافة البابا: إننا كمسلمين نؤمن بعيسى ابن مريم عليه السلام نبيا من أنبياء الله المرسلين: كما هو وارد بالقرآن وكما قال السيد المسيح عن نفسه.

وإننا لا نعانى من عقدة الخطيئة التى تفرض الكنيسة توارثها تبريرا لوجودها، فالقرآن يقول لنا: ﴿...وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ...﴾ (الإسراء: ١٥) وبالتالى فلسنا بحاجة إلى من «يفدينا» أو يخلصنا من هذه الخطيئة. كما

يحرم علينا القرآن قبول فكرة التثليث، وما أكثر الآيات التى يقول الله فيها ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ...﴾ (المائدة: ٧٣) و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾(الإخلاص). ولسنا بحاجة إلى وسيط بيننا وبين الله عز وجل، فقد أمرنا سبحانه وتعالى أن نعبده وحده وأن نخلص له الدين، قال تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ...﴾ (البينة: ٥). ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ...﴾ (غافر: ٦٠).

وفى ختام هذا العرض الموجز لمخطط مرير، رخيص، مهين رغم جرأته وتسيقه؛ مخطط يرمى إلى فرض تنصير العالم فى احتفال عالمى مهيب، عبارة عن قداس قربانى تمجيداً للثالوث، فقد ناشدت الأزهر الشريف وعلماءه وكل ما يحملونه من أمانة الدفاع عن الإسلام وحمايته، كما ناشدت المسلمين أينما كانوا، العمل على مقاطعة هذا الاحتفال التنصيرى، فالمشاركة ولو بالتواجد تعنى القبول ضمناً، مثلما تعنى التواطؤ صمتا فى عمليات تحريف ومغالطات، الإسلام برئ منها إلى يوم الحساب.

فالمقصود من هذا التواجد هو «كسر الحاجز» الذى بين الديانات، كما يقول البابا، والذى يرى أن ذلك قد تم بالفعل فى الصلاة «الجماعية» التى دعى إليها من «أجل السلام العالمي» وأقيمت فى بلدة أسيز بإيطاليا فى (٢٧/١٠/١٩٨) وحضرها مندوبون من كافة المذاهب المسيحية، ومن كافة الديانات العالمية الأخرى، كما تم كسر نفس الحاجز فى الصلاة «الجماعية» العالمية الثانية التى دعى إليها وأقيمت عام (١٩٩٣م) من أجل السلام فى البوسنة!

وهنا لا يسعنا إلا أن نقول لنيافة البابا: إن السلام فى البوسنة ليس بحاجة إلى «صلاة» وإنما بحاجة إلى قرار حاسم لا تخاذل فيه لوقف المذبحة «العرقية، الدينية» الدائرة ضد الإسلام والمسلمين، كما لا يسعنا إلا أن نتوجه

لكافة المسئولين المسلمين، أينما كانوا، أن يكفوا عن التواطؤ فى هذه المسرحية الدائرة منذ قرابة ثلاث سنوات، نظن أنها كانت كافية لكشف «حسن نوايا» الغرب المسيحى المتعصب.

كما أنها كانت كافية لفضح تفكك المسلمين وتخاذلهم فى الدفاع عن دينهم وعن كيانهم.

ولا نجد أفضل من قول الله سبحانه وتعالى ﴿ ...وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا... ﴾ (البقرة: ٢١٧).

فاتحدوا أيها المسلمون، اتحدوا «كالبنيان المرصوص» لا فى الصلوات الاحتفالية فحسب، وإنما فى الدفاع عن الإسلام، الذى استباحوا عرضه، وعن نبيه خاتم المرسلين الذى كفروا به.

رسـالة إلـي
حضرة صاحب الجلالة
الملك فهد بن عبد العزيز
خادم الحرمين الشريفين

حضرة صاحب الجلالة
الملك فهد بن عبدالعزيز
خادم الحرمين الشريفين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

ألجأ إلى جلالتكم لما تتبوؤنه من مكانة أنعم الله بها عليكم؛ مكانة لها مغزاها ودلالاتها فى جوار مهبط الإسلام، وما يترتب عليه من أمانة حمايته، وصون أماكنه والحفاظ عليها. أى إن الله سبحانه وتعالى قد أضفى على مهام وجودكم مسئولية حماية الإسلام المرتبط ارتباطًا حميمًا ببلادكم وأراضيها المباركة.

والجأ إلي جلالتكم كمسلمة لا تقنط من رحمة الله عز وجل؛ رغم غياهب الرؤية، ومما وصل إليه حال المسلمين من تفكك مفروض عليهم من الغرب المسيحى المتعصب الذى لا يسعى ولا يعمل إلا إلى تحقيق مصالحه حتى ولو دمر العالم كله.

الأمر الذى أدى إلى تبلد أيَّهَم للمسلمين فى إدراك مأساة هذا التفكك وعواقبه، كما أفقدهم، حتى مجرد الإحساس بالمهانة التى هم فيها - وهذا ما جعلنا نلجأ - بعد الله - إليكم أملاً فى أن يجعل الله العلى القدير حماية الإسلام، المرتبط رمزًا وواقعًا ببلادكم ورسالتكم، وصد الهجمة الضارية التى تجتاحه، أن تتحقق على أيديكم، مثلما جعلكم تتولون حماية وتوسعة رموزه ومبانيه؛ مع الفارق الشديد بين أهمية الحفاظ على الشكل الرمزى الممثل فى الأبنية، والضرورة الملحة فى الحفاظ على الجوهر الأساسى الذى أنزله الله رحمة بعباده والذى ختم به عز وجل رسالة التوحيد؛ مع عدم الانتقاص من جهودكم فى توسعة الحرمين الشريفين، وهى جهود لا ينكرها عادل منصف.

إن ما يقوم به تيار التعصب حاليًا فى الغرب المسيحى من حرب ضد الإسلام ليس بجديد. فقد بدأت حروبه منذ بداية انتشار الإسلام كرسالة مصوبة ومكملة لما تم من تحريف فى التنزيلين التوحيديين السابقين، الأمر الذى يثبته القرآن الكريم بوضوح لا ريب فيه، وهى حرب لم تَخْبُ ولم تخفت حتى يومنا هذا؛ وإن تنوعت الأساليب وتضافرت الجهود.

فلم يقنع الغرب المسيحى المتعصب باستعمار العالم العربى والإسلامى منذ ثلاثة قرون، واستنزاف موارده الطبيعية والبشرية؛ ولا بما فرضه من استعمار فكرى واقتصادى بعد فشل نظامه الاستعمارى العسكرى؛ كما لم يقنع بما فرضه من عمليات تغريب على هذه البلدان، تواكبها عمليات تنصير معلنة أو متخفية، لفرض انحلال حضارته المادية الاستهلاكية وعقيدته المحرفة..... وإنما وصل به الأمر إلى درجة «استخدام القادة المسلمين فى ضرب الإسلام ومحاصرته لاقتلاعه بأيديهم المسلمة»! وهو ما كان قد قرره مؤتمر كولورادو للتنصير، المنعقد عام (١٩٧٨م) من ضمن ما قرر وخطط فى الأربعين بحثًا التي تناولها لدراسة كيفية التوغل فى أمة الإسلام للقضاء عليها. الأمر الذى لا يقبله ضمير أى مسلم مهما تغافل أو تواطأ عمدًا، أو حرجًا، أو عن غير وعى منه، أو حتى مواكبة لمن تم اجترافهم فى دوامة الغرب ومخططاته.

إن سرعة توالى الأحداث الحالية، وتضافرها فى إيقاع محموم، من حروب إبادة وقتل عرقى، وحظر مروض للموت البطئ لشعوب مسلمة، وضغوط سياسية واقتصادية وعمليات تطبيع مفتعلة، أصبحت تفرض على المسلمين، بل وعلى الإسلام نفسه. إن هذه الأحداث تشكل موقفا لم يتعرض له المسلمون من قبل؛ موقفا يختلف كلية عن أية لحظة من لحظات التاريخ، حيث وصل التعصب الأكمه إلى ذروته بتحديد جدول زمنى لهذا الاقتلاع!

فقد أعلن البابا يوحنا بولس الثانى عن خطته الخمسية لتنصير العالم

بمناسبة الاحتفال بيوبيل سنة (٢٠٠٠) مع اقتراح العمل على إسقاط ديون العالم الثالث «إلى جانب أشياء أخرى» لم يفصح عنها، لتسهيل عملية تنصيره أو ثمنًا لها!!!

وعبارة «تنصير العالم» لا تخص البلدان الغربية وحدها، سواء أكانت تلك التى حادت عن المسيحية لتقع فى الإلحاد، أم تلك الجماهير التى تباعدت عن كنسيتها لكل ما اكتشفته فيها من تحريف للحقائق والنصوص. وإنما تتضمن هذه العبارة، أيضًا، العالم الإسلامى برمته، وخاصة المملكة العربية السعودية التى أصبحت تمثل واحدًا من أهم المواقع المستهدفة، حيث إنها «لم تخضع بعد» للتنصير ومازالت تقف فى مواجهته، كما سنرى فيما يلى.

وذلك هو محتوى الخطاب الرسولى الذى أعلنه البابا يوحنا بولس الثانى فى (١٩٩٤/١١/١٤م) تحت عنوان: **«عشية الألفية الثالثة»**.

وتكمن أهمية الخطاب الرسولى للبابا فى أنه: مُلزِم لكافة السياسيين المسيحيين ولكافة الكنائس التابعة له أو حتى المنشقة عنه عقيديا، وذلك بموجب عقيدة الإيمان، وبموجب القانون الكنسى وشرائعه التى تم نسجها عبر المجامع على مر العصور. كما أن سلطة البابا كرئيس لدولة الفاتيكان تتعدى الأربعة والأربعين هكتارًا التى تضم دولته: فهو يحضر المؤتمرات الدولية بهذه الصفة، مثلما حضر مؤتمر هلسنكى عام (١٩٧٥م) حول حقوق الإنسان، أو مؤتمر مدريد عام (١٩٨٣م) حول نزع السلاح. كما أنه يتدخل بنفس الصفة فى مباحثات السلام بالشرق الأوسط: فهو الذى «أوحى» بفرض تقسيم القدس فى مؤتمر مدريد عام (١٩٩١م) ذلك المؤتمر الذى أصبح الفاتيكان من بعده لا يتحدث عن «فلسطين» وإنما عن «الفلسطينيين».

وتبعتها حملة إعلامية لا مثيل لها فى العالم بأسره، ابتداء من أعياد الميلاد لعام (١٩٩١م)، للتقارب بين الكنائس والإعلان عن احتمال علاقات دبلوماسية بين دولة الفاتيكان وكل من إسرائيل، والأردن، و«الفلسطينيين».

وهى الحملة التى واكبتها خطوة جديدة أخرى من «خطى» البابا، وهى: الإعلان عن احتمال انضمام الفاتيكان لمجلس الكنائس العالمى. الأمر الذى ظل يرفضه حتى ذلك الحين - على أنه مؤسسة دولية، تم إنشاؤها عام (١٩٤٨م)، وتضم معظم الكنائس الأرثوذكسية الشرقية والكنائس الناجمة عن عمليات الإصلاح، بتمويل من المخابرات الأمريكية؛ كما يشار فى المراجع والموسوعات.

وتطورت الأحداث وفقا للأغراض السياسية والتبشيرية حتى أقام الفاتيكان علاقات دبلوماسية مع الكيان الصهيونى فى فلسطين المحتلة، معترفًا «بالأمر الواقع». وهذا الأمر الواقع يتضمن ضياع مدينة القدس ثانى القبلتين وثالث الحرمين.

والخطاب الرسولى الأخير الذى أعلنه البابا فى (١٤/١١/١٩٩٤م) بمثابة خطة خمسية للاحتفالات التى يزمع إقامتها بمناسبة بداية الألفية الثالثة. وهو فى مجمله، عبارة عن نداء لكافة الديانات المسيحية وغير المسيحية لتشارك فى هذا الاحتفال ككسر وتخطٍ للحواجز التى تفصل بينها، كما أنه مجاهرة بالعقيدة الكاثوليكية لتنصير العالم وفقًا لها.

وذلك لأن نفس الشكل الاحتفالى الذى خطط له البابا ينقسم إلى جزئين:الجزء الأول لعامى (١٩٩٥، ١٩٩٦). وقد خصه لما أطلق عليه «عملية الإعداد النفسى» التى ينوى خلالها إتمام عملية توحيد الكنائس، أو تحقيق أكبر قدر من هذه المهمة. والجزء الثانى خصه لما أسماه «تمجيد الثالوث»، على أن يكرس عام (١٩٩٧م) ليسوع، وعام (١٩٩٨م) للروح القدس، وعام (١٩٩٩م) للآب. وينتهى الاحتفال بمؤتمر عالمى للقربان، يقام فى آن واحد فى كل من روما والقدس وكافة الكنائس المحلية احتفالاً بتنصير العالم.

وإذا ما كانت كافة الحروب الصليبية السابقة تهدف إلى بيت المقدس، فإن البابا يرمى أيضًا إلى أن تنتهى عملية تنصير العالم بنفس المكان تتويجًا

لها. وهو ما أوضحه فى البند (٥٣) من خطابه هذا، عند الإعراب عن أمنيته فى إمكانية ترتيب لقاءات مع اليهود، والمسلمين «فى أماكن لها مغزاها بالنسبة للديانات التوحيدية الكبرى» أى إن الطريق إلى القدس يمر عن طريق أراضى المملكة السعودية وغرس الكنائس بها. لذلك يرى أيضًا: «دراسة إمكانية عمل لقاءات تاريخية فى بيت لحم، والقدس، وجبل موسى بسيناء، وهى أماكن ذات قيمة رمزية عالية، بغية تكثيف الحوار مع اليهود ومع اتباع الإسلام، وايضا ترتيب لقاءات مع ممثلى الديانات الكبرى فى العالم فى مدن أخرى، مع الحرص دوما على عدم إثارة عمليات سوء فهم خطيرة، عند مجازفة محاولات التوحيد السهلة والمخادعة» (بند ٥٣).

ومن الواضح أن الجغرافيا السياسية ليوحنا بولس الثانى ليست عبارة عن استعادة لسلطته على المجتمع العالمى من خلال الكنيسة الكاثوليكية وإنما فرض هيمنتها على العالم بأسره. وذلك هو ما نطالعه فى كتاب «**الجغرافيا السياسية للفاتيكان**» الصادر عام (١٩٩٢م) والذى يرد فيه ما يلى:

«أين سنذهب صليبيى «شانت يقب» إن لم يكن فى القدس؟ إن هذه الحملات العسكرية التى نظمتها الكنيسة قد بدأت عندما طالب أحد البابوات عام ١٠٩٥ بتحرير الأراضى المقدسة...... ورغبة البابا يوحنا بولس الثانى فى العودة إلى هناك بعد تسعة قرون تمثل الحلقة الأخيرة التى تتمم نداءه الذى أطلقه من مدينة شانت يقب فى نوفمبر عام (١٩٨٢م) مطالبًا بإعادة تنصير العالم... إن البابا ودبلوماسيى الفاتيكان يعملون على توحيد الكنائس الشرقية، المتناثرة فى الشرق الأوسط والمنشقة، منذ أزمنة بعيدة، أيام الانقسامات الأولى للكنيسة. ويوحنا بولس الثانى مقتنع بأن هذه الجماعات الأولى للمسيحية التى تمثل حلقة الوصل بين الشرق والغرب وبين الماضى والحاضر، يمكنها أن تقوم بتسهيل عملية الحوار بين اليهود والمسلمين. لذلك فهو يزمع استخدامها ليكون أول رئيس روحى فى أكثر الأماكن رمزية مولد النظام العالمى الجديد للديانات والتعايش السلمى

للديانات الثلاثة التوحيدية الكبرى، والمصالحة النهائية بين اليهودية والمسيحية والإسلام، كرمز للسلام للإنسانية بأسرها.... وبذلك ستجد الكاثوليكية مكانها الصحيح فى أراضى يسوع، فكل الحروب الصليبية التى يقودها يوحنا بولس الثانى، وسفرياته فى الزمان والمكان تهدف إلى تحقيق هذه العودة الكبرى» (صفحة ٢٧٥).

والتعايش السلمى الذى يعنيه البابا، وفقًا لما أعلنه فى العديد من خطبه هو أن: تستكين الأمور لتتم عمليات التوغل والتنصير بلا أية مواجهة، أو مقاومة، أو أية ردود فعل عنيفة.

ويطرح نفس هذا البحث الخاص بالجغرافيا السياسية للفاتيكان، سؤالاً عن إمكانية تنفيذ ذلك، موضحًا «إنه بالنسبة لروما، فلابد من الانتقال إلى نفس الموقع لمحاربة الحركات التى تزعم أسلمة العالم العربى أو تهويد إسرائيل. ترى كيف ستتصرف الكنيسة فى ذلك الشرق الأوسط، مهد المسيحية، حيث يحلم يوحنا بولس الثانى بالذهاب إلي هناك؟ ترى هل سيسمح النظام العالمى الجديد بالإعلان عن تواجد أكثر وضوحًا للمسيحيين إلى جانب اليهود والمسلمين؟ إن ذلك هو ما تأمله روما، وهو أيضًا ما تسعى لتحقيقه، لأن البابا لم يعتمد أبداً على السماء وحدها لخدمة أغراضه»! (صفحة ٢٢١).

والهدف لا يتوقف عند مجرد الذهاب إلى مدينة القدس حتى «تجد الكاثوليكية مكانها الصحيح» وإنما يرمى إلى أبعد من ذلك بكثير، فالهدف المعلن بوضوح لا مواربة فيه يشير إلى: فتح الأراضى السعودية على مصراعيها أمام عمليات التنصير. الأمر الذى نطالعه بكل سفور ووضوح فى الفقرة التالية من نفس المرجع: «كيف يمكن قبول ادعاءات السلطات السعودية باعتبار أن مجمل هذه المملكة عبارة عن منطقة مقدسة - وليس منطقة الحجاز التى تضم مكة والمدينة فحسب - لأن هذا الموقف يؤدى إلى

منع المسيحيين من إقامة أى صليب على ذلك «المسجد» الذى تبلغ مساحته (٢١٤٩٦٩٠) كيلو مترًا مربعًا (صفحة ٢٥٦).

وإذا ما ربطنا بين هذه العبارة وما سبق للبابا أن أعلنه فى خطبه الرسولية المتعددة لأدركنا مدى تسلط وإلحاح هذه الفكرة فى ذهنه. إذ يقول فى رسالة «فادى البشر» التى أعلنها عام (١٩٩١م) متحدثًا عن عملية التبشير فى البلدان التى لم تعتنق المسيحية بعدُ، ومنها الأراضى السعودية التى كرمها الله ببيته الحرام، مستشهدًا ببيان مجمع الفاتيكان الثانى الذى قرر «توصيل الإنجيل إلى كافة البشر» قائلاً: «إنها تهتم بالشعوب والجماعات البشرية والأطر الاجتماعية الثقافية، التى لم تعرف بعد المسيح وإنجيله، أو تلك التى لا توجد بها جماعات مسيحية ناضجة بما فيه الكفاية، لتتمكن من تجسيد الإيمان فى محيطها وإعلانه على جماعات أخرى..... إن النشاط الإرسالى المميز أو البيان «إلى الأمم» يتوجه «إلى الشعوب والجماعات البشرية التى لم تؤمن بالمسيح» وإلى «الذين هم بعيدون عن المسيح» حيث «لم تمتد جذور الكنيسة بعد» و«الذين لم تتطبع ثقافتهم بعد بالإنجيل ويتميز عن نشاط الكنيسة الآخر بفعل التوجه إلى تجمعات وأوساط غير مسيحية، لأن البشارة بالإنجيل وحضور الكنيسة ليسا متوفرين فيها أو غير كافيين».

ثم ينتقد نيافته موقف بعض البلدان ويعنى بها المملكة السعودية قائلاً: «إن بعض البلدان تمنع المرسلين من الدخول إليها والبعض الآخر لا يحرم التبشير فقط بل الاهتداءات (أى الارتداد عن الإسلام) وحتى أعمال العبادة المسيحية.... إن الكنيسة فى الواقع، لا تستطيع أن تقبل بتحديد، مناطق وموانع سياسية تشكل حاجزًا لحضورها الرسولى.... وهناك مناطق واسعة لم تبشر بعد: شعوب بكاملها ومساحات ثقافية كبيرة الأهمية لم تبلغها بعد بشارة الإنجيل ولا قيام كنيسة محلية».

ثم يوضح نيافته فى نفس الرسالة أهمية ذلك قائلاً: «من الضرورى

قبل كل شيء، السعي لإنشاء جماعات مسيحية فى كل مكان، تكون بمثابة «علامة الله فى العالم»، وتنمو حتى تصبح كنائس؛ فعلى الرغم من ارتفاع عدد الأبرشيات توجد أيضًا منطاق شاسعة تغيب عنها الكنائس المحلية كلية، أو هى غير كافية نظرًا لاتساع الأراضى والكثافة السكانية، ويبقى علينا عمل هام لزرع الكنيسة وتطويرها. وهذه المرحلة من التاريخ الكنسى، التى نسميها زرع الكنيسة لم تنته، بل لا يزال من الواجب إنشاؤها فى كثير من التجمعات البشرية».

ويرى البابا ضرورة تضافر كافة جهود تيار التعصب المتأجج فى المسيحيات الحالية. الأمر الذى يفسر إلحاحه الشديد فى تنفيذ عملية توحيد الكنائس، غير عابئ بما بينها من خلافات عقيدية، مكتفيًا بالتلويح لها «بشبح الإسلام والأصولية». وهو ما نقرأه بنفس الوضوح فى الفقرة التالية: «لابد من تحالف القوى المسيحية، لتكون أقوى درع ضد الإسلام فالاتحاد ضد العدو المشترك الذى ينفث الانشقاق فى الجمهوريات الإسلامية جنوب الاتحاد السوفيتى كان فى عام (١٩٨٩م) الدليل الحاسم لإقناع الأرثوذكس بأهمية معاونة الكاثوليك على صحوتهم فوق أنقاض الشيوعية». **«الجغرافيا السياسية للفاتيكان»** (صفحة ٢٦٨).

لذلك ظل البابا يردد ولا يزال «إن الاتحاد يصنع القوة» من أجل التغلب على ما أطلق عليه «العدو المشترك» بينهم؛ أى الإسلام.

وهو ما يلقى مزيدًا من الضوء لا على تدخلاته السياسية والدينية لقلب النظام الشيوعى، الأمر الذى باتت مختلف المراجع والصحف تتناوله كحقيقة لا جدال فيها، وإنما يوضح أساسًا أهمية اللعبة الدائرة حاليًا، وذلك الإيقاع المتلاحق من مؤتمرات ومنتديات ولقاءات وصلوات جماعية، بغية كسر الحاجز النفسى، وكلها تدور تحت لافتة أساسية واحدة تسمى: الحوار.

والحوار فى نظر البابا لا يعنى مجرد ما نطالعه من فقرات فى نفس

المرجع الخاص بجغرافيته السياسية، والذى يكشف عن الكثير من الخبايا فى صفحاته الاثنتين والثمانين والمائتين، ومنها: «إن الحوار التوحيدى، الذى هو هدف ووسيلة عملية التبشير الجديدة، لم يزدهر أكثر من أى وقت مصادفة تحت حكم البابا البولندى، فبدون ذلك المفتاح لا معنى للأمل فى غزو أو استعادة المساحات التى يتطلع إليها» (صفحة ٢٤٩) أو عبارة «لابد من الأخذ فى الاعتبار بالتنوع الجغرافى أو الدينى للإسلام، فلا يجب طرح نفس المشكلات بنفس الطريقة مع السنيين، أو الشيعة، أو الدروز، أو الإسماعيليين. لابد من إتقان تنوع الحوار» (صفحة ٢٥١) الأمر الذى يكشف عمليات التلاعب المغرضة التى تتم فى هذه الحوارات...... وإنما الحوار يعنى فى نظره وكما أوضحه نيافته فى خطابه الرسولى بعنوان: **«رسالة الفادى»**:

«إن الحوار يمثل جزءًا من رسالة الكنيسة التبشيرية... إن الكنيسة تستعمل الحوار لكى تحسن حمل الناس على الارتداد والتوبة عن طريق تجديد ضميرهم وحياتهم تجديدًا عميقًا، فى ضوء سر الفداء والخلاص. إن الحوار الصحيح يرمى إذن بادئ ذى بدء إلى تجديد كل الناس بالارتداد الباطنى والتوبة مع احترام كل الضمائر.... وإن الحوار لا يعفى من التبشير».

ويختتم البابا هذا البند قائلاً: «إن تجديد القلوب عن طريق الارتداد والتوبة هما إذن الفرضية الأساسية والقاعدة الثابتة اللتان يرتكز إليهما كل تجديد اجتماعى طويل الأمد والسلام بين الأمم..... ولا يمكن لحوار المصالحة على الإطلاق أن يقوم مقام إعلان الحقيقة الإنجيلية أو أن يخفف منها وحقيقة الإنجيل ترمى إلى ارتداد الخاطئ والاتحاد بالسيد المسيح»!!. أى إن «الحوار» الدائر حاليًا مع المسلمين بكل أنواعه مؤدٍّ حتميًا - فى نظر البابا - إلى ارتدادهم عن الإسلام واعتناقهم المسيحية لكى يعم السلام بين الأمم ويستتب!!

ولا يفوت البابا أن يوضح لمن قد يراوده الشك فى إمكانية تنفيذ هذا الكلام: «إن الكرسى الرسولى يسعى إلى التدخل لدى حكام الشعوب والمسئولين عن مختلف المحافل الدولية أو الانضمام إليهم بمحاورتهم أو إخضاعهم على الحوار لمصلحة المصالحة وسط صراعات عديدة».

ويوضح س. ديلاكروا قائلاً: «إن الكنيسة باتت مصرة على تحديد رسالتها المعينة، وهى: غرس الإنجيل فى كافة الثقافات» (**الكنيسة الكاثوليكية فى مواجهة العالم غير المسيحى**).

أما الأب ريمون روسينيول الذى يعلق على خطاب «**رسالة الفادى**» فيقول: «إنه يمكن اعتباره بمثابة نداء من البابا لتجنيد الكنيسة بأسرها لمهمة التبشير.... إننا مازلنا نفكر فى البلدان التى تمنع دخول المبشرين، إلا أن ذلك لا يقف حائلاً أمام الدبلوماسيين ورجال الأعمال والتقنيين المسيحيين» على حد قول البابا الذى «يهتم بما أطلق عليه الأشكال الجديدة للتعاون، والتى يذكر منها أربعة بصفة خاصة هى: السياحة، ومختلف الأشكال المهنية، والمهاجرين، والحياة الدولية بما فيها السياسة والاقتصاد ووسائل الإعلام»، مجلة «**رسالة الكنيسة**» العدد (٩١) مارس (١٩٩١م).

ومن الواضح أن مجالات السياحة ومختلف الأشكال المهنية، والمهاجرين والدبلوماسيين ورجال الأعمال والتقنّيين المسيحيين، إلى جانب كل ما يتضمنه مجال السياسة والاقتصاد ووسائل الإعلام، باتت من المنافذ التى تقوم الكنيسة باستغلالها فعلاً لممارسة عمليات التنصير بصور، أو بأساليب قد يصعب التصدى لها. ولا أدل على ذلك مما تطالعنا به الجرائد، أو الإذاعة البريطانية من وقت لآخر باكتشاف المسئولين السعوديين لبعض هؤلاء الأفراد أو لبعض الدبلوماسيين وهم يمارسون عمليات التنصير فى الأراضى السعودية، وأنه قد تم ترحيلهم على الفور.

إذا ما كانت هذه المحاولات تتم فى السنوات الماضية، فى صمت ودأب،

فما بالنا بما سوف يقومون به بعد أن قام البابا بالإعلان عن خطته لاحتفالات سنة الفين؟!

وعملية تنصير العالم أو ما يطلقون عليه «إعادة تنصيره» أو «عملية التنصير الجديدة» ليست من بنات أفكار البابا يوحنا بولس الثانى، وإنما هى أحد القرارات الهامة التى أسفر عنها مجمع الفاتيكان المسكونى الثانى (١٩٦٢ ـ ١٩٦٥). وقد تم إعلان ذلك القرار آنذاك تحت عبارة «توصيل الإنجيل لكافة البشر». غير أن البابا هو الذى أعلنها صراحة فى إحدى جولاته الرسولية عام (١٩٨٢م) بمدينة «شانت يقب» حيث أعلن عن «عملية التنصير الجديدة» و«إعادة تنصير العالم». وكان يقصد بها شقين: استعادة الكتلة الشرقية من الإلحاد والحيلولة دون اعتناقها «ديانات أخرى» ومن ناحية أخرى، العمل على اقتلاع الإسلام حتى لا تكون هناك بدائل أخرى أمام الأتباع الذين كفروا بدينهم الذى ثبت تحريفه.

واختيار البابا لمدينة «شانت يقب» بشمال غرب إسبانيا له مغزاه الواضح، فهى تمثل آخر منطقة امتد إليها الإسلام، كما أنها أول منطقة تم الاستيلاء عليها وسقطت فى «حرب الاسترداد».

ومنذ منتصف الستينيات، أى عقب المجمع الفاتيكانى المسكونى الثانى، تضافرت جهود التعصب السياسى والدينى لجعل الكرة الأرضية عبارة عن «قرية كوكبية» واحدة، يتم السيطرة عليها بفرض النظام العالمى السياسى الجديد بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، وفرض النظام العالمى الدينى الجديد، بزعامة كاثوليكية روما. لذلك يجاهد البابا فى تحويل الديانات الأخرى من «أعداء» إلى «حلفاء» والبحث عن قاسم مشترك أعظم بينها، لتسهيل عملية امتصاصها من خلال تلك الحوارات المزعومة، والتى تؤدى فى نظره إلى حتمية التنصير.

وموضوع الاحتفال بالألفية الثالثة، من الموضوعات التى خطط لها

البابا منذ بداية مشواره البابوى، إذ تناولها فى العديد من خطبه الرسولية، بدءًا من أول خطاب ألقاه حتى الخطاب الأخير، والخاص باليوبيل نفسه، وذلك لارتباطه فى نظره بضرورة عملية تنصير العالم فى وقت محدد له مغزاه، لذلك اعتبر «إن عام ألفين هو عام الخلاص، وعام استقبال ذلك الإنجيل الذى عرضه يسوع فى المعبد اليهودى بمدينة الناصرة، كرسالة تحرير لكافة شعوب العالم».

ومن المعروف أن «إنجيل يسوع» هذا الذى يراوغ بالحديث عنه قد أخفته أيادى التعصب العابثة منذ بداية التحريف. وإذا ما تجرأ البابا وأظهره فى وضح النهار، لانتهى كيان المسيحية الحالية التي تم اختلاقها بتعنت، وإصرار عبر المجامع على مر العصور. فالسيد المسيح ﷺ لم يقل أبدًا إنه إله، وقد تم تأليهه فى مجمع نيقيا عام (٣٢٥م).

إلا أن البابا يصر على تأكيد أن «المسيح فادى العالم هو الوسيط الوحيد بين الله والبشر» (بند ٤ عشية الألفية الثالثة) لأن «المسيح هو الله حقًا، وهو إنسان حقًا، وهو سيد الكون وسيد التاريخ أيضًا، وهو البداية وهو النهاية» (بند ٥) لأنه لا يتحدث إلى البشر (باسم الله مثال الأنبياء، وإنما هو الله نفسه الذى يتحدث فى كلمته الخالدة بعد أن تجسدت، وهنا نلمس النقطة الأساسية التى تفرق المسيحية عن الديانات الأخرى التى لاح فيها منذ البداية بحث الإنسان عن الله. أما فى المسيحية فإن نقطة الانطلاق هى تجسد الكلمة، وهنا لا يذهب الإنسان بحثا عن الله، وإنما الله هو الذى أتى شخصًا للتحدث عن نفسه إلى الإنسان ليوضح له الطريق الذى سيسمح له بالتوصل إليه.. وبهذه الصورة، فإن المسيح هو تحقيق لتطلع كافة ديانات العالم، ومن هنا فهو نهاية مطافها الوحيد والنهائى» (بند ٦).

ويؤكد البابا: أن كل أحداث القرن العشرين «وكل ما وقع طواله يوضح أكثر من أى وقت مضى أن العالم بحاجة إلى التطهر، وأنه بحاجة إلى الاهتداء إلى المسيحية» (بند ١٨).

رابطًا بين الاحتفال بهذا اليوبيل، وبين قرارات المجمع الفاتيكانى الثانى بشكل لا انفصام فيه، لأن هذا اليوبيل يأتى تتويجًا لقرارات ذلك المجمع «الذى تمخض عن تكوين العديد من المجامع الكنسية العامة، والقارية، والمحلية، والقومية، الأبرشية، وكلها تدور حول الموضوع الأساسى للتبشير بل والتبشير الجديد الذى تم إرساء قواعده فى الخطاب الرسولى للبابا بولس السادس عام (١٩٧٥م) والمعنون «**تبشير الإنجيل**» الذى أصدره عقب الجمعية الثالثة العامة للمجمع الكنسى للأساقفة» (بند ٢١). وهو أحد المجامع الخاصة بتنصير العالم!.

ثم يؤكد نيافته قائلاً: «إنه من الأمور الشديدة الإلحاح، أن يتم انعقاد مجمع كنسى بمناسبة اليوبيل الكبرى، لتوضيح وتعميق المذهب الخاص بالمسيح الذى هو الوسيط الوحيد بين الله والبشر، والمخلص الوحيد للعالم، مع تمييزه تمامًا عن مؤسسى الديانات الكبرى الأخرى والتى نجد فيها رغم ذلك بعض عناصر من الحقيقة، والتى تنظر إليها الكنيسة باحترام صادق، إذ ترى فيها انعكاسًا للحقيقة التى تنير كافة البشر». (بند ٣٨). أى حقيقة المسيح التى أوضحها.

وعند حديثه عن شكل الاحتفال نفسه أكد «على أن تكون البنية الموضوعية لهذه السنوات الثلاث متمركزة حول المسيح، ابن الله وقد تجسد بشرًا، وهو احتفال لا يمكن إلا أن يكون لاهوتيًا، أى متعلقًا بالثالوث» (بند ٣٩).

وبعد أن أوضح «أن يسوع المسيح هو المنقذ الوحيد للعالم بالأمس، واليوم، وإلى الأبد» (بند ٤٠). وضرورة «العمل على وحدة كافة المسيحيين، والأهمية المضفاة على الحوار مع الديانات، ومع الثقافات المعاصرة» (بند ٤٦) وبعد أن قام بالتمهيد للمرة الثانية لعدم المساواة الاقتصادية الناجمة عن الإمبريالية، ونهبها لموارد العالم الثالث، أو لأهل الجنوب أينما كانوا، يرى البابا: أن تكون مناسبة اليوبيل هذه بمثابة «لحظة سانحة ليتم فيها التفكير

إلى جانب أشياء أخرى (لم يفصح عنها نيافته) فى تخفيض هام، إن لم يكن فى إلغـاء بالكامل للديون الدوليـة التى تثـقل على العـديد من الأمم، بذلك سيمكن لليوبيل تقديم فرصة للتأمل حول تحديات أخرى للعصر، من قبيل: صعوبات الحوار مع الثقافات المختلفة والمشكلات المرتبطة باحترام حقوق المرأة ونشر مفهوم الأسرة والزواج» (بند ٥١).

أما فى النبد (٥٢) فيوضح نيافته أن أهم حقلىْ عمل يجب توليتهما عناية خاصة هما: «المواجهة مع العلمانية والحوار مع الديانات الكبرى».

وفيما يتعلق بالنقطة الأولى يجمعها فى عبارة «أزمة الحضارة» كما هى واضحة «فى الغرب المتقدم تقنيًا، وإن كان أكثر افتقارًا نفسيًا لنسيانه الله أو لتهميشه إياه». أما فيما يتعلق بالحوار بين الأديان، فيرى أن تتم «مواصلة ذلك الحوار وفقًا للتعليمات الشديدة الوضوح، التى أملاها المجمع الفاتيكانى الثـانى فى بيـان «زمـاننا هذا» حـول عـلاقـات الكنيسـة مع الديانات غيـر المسيحية» (بند ٥٣)، متمنيًا «إمكانية ترتيب لقاءات مع اليهود، والمسلمين فى أمـاكن لهـا مـغـزاها، بالنسبـة للديانـات الكبـرى التـوحيـدية» (بند ٥٣) وهذه التعليمات «الشديدة الوضوح» كما رأينا لا تنص إلا على تنصير العالم مع التركيز على البلدان التى لاتزال تقف فى مواجهة عمليات التنصير وأهمها المملكة العربية السعودية.

وفيما يتعلق بالاحتفال الختامى الكبير، فيرى البابا «أن يتم ذلك فى آن واحد فى كل من الأراضى المقدسة، وفى روما، وفى كافة الكنائس المحلية للعالم أجمع» (بند ٥٥). على أن تكون غاية الاحتفال هى: «تمجيد الثالوث» (بند ٥٥). وأن يقام فى روما بهذه المناسبة «مؤتمر عالمى لسر القربان» (بند ٥٥). أى أن يكون عام ألفين، هو العام الدولى للقربان أو «عام الخلاص» للعالم أجمع كما أوضحه من قبل.

وفى نهاية هذا العرض الخاطف للخطة الخمسية للبابا يوحنا بولس

الثانى، وهى خطة ملزمة لكافة السياسيين المسيحيين ولكافة الكنائس، بحكم عقيدة الإيمان وبحكم القانون الكنسى وشرائعه، لا يسعنا إلا أن نشير إلى «ذلك المغزى الكبير وغير المعلن» لعام بأسره عن القريان، والذى تسبقه عملية إسقاط هامة للديون الدولية التى تثقل على كاهل العديد من الدول، إن لم يكن إسقاطًا كاملاً لها. وإنه لمن المخزى والمهين للمسلمين، وللعالم كله أن يتم إسقاط ديون العالم الثالث فى الأعوام القليلة القادمة شريطة تنصيره، أو ثمنًا له، والاحتفال بعد ذلك بابتلاع القريان تدشينًا لذلك التنصير المدفوع الأجر!!!

الأمر الذى يلقى مزيدًا من الضوء على مطالبة البابا فى خطابه الرسولى هذا «بتجديد الوعد بالتزام كل فرد وكل كنيسة بقوانين المجمع الفاتيكانى الثانى»، كما يلقى مزيدًا من الضوء على ما قد تم فرضه على الكنائس المحلية: أى إن كافة المسلمين، أينما كانوا وسواء أكانوا يمثلون أغلبية البلد الذى يعيشون فيه أم هم أقلية فيه، بلا شك خاضعون الآن لعملية تنصير أو إعداد للتنصير العام، تتم «بصبر ودأب» على حد قول البابا فى العديد من خطبه، وإن كانت تتم اعتمادًا على التسلل وعدم المواجهة الصريحة من ضمن ما تعتمد عليه.

وإذا ما حاولنا اختصار هذا الخطاب الرسولى الأخير للبابا، والصادر فى (١٤/١١/١٩٩٤م)، إلى محاوره الأساسية لخرجنا بالنقاط الثلاث التالية:

١ ـ غاية الاحتفال: تمجيد الثالوث، وفرض المسيحية على العالم.

٢ ـ أحد أهم وسائله: إسقاط ديون العالم الثالث ثمنًا لتنصيره.

٣ – أهم حقلى عمل تواجههما الكنيسة فى الفترة القادمة:

أ ـ المواجهة مع العلمانية.

ب ـ الحوار مع الديانات وبخاصة مع الإسلام (والحوار فى مفهوم البابا يعنى فرض الارتداد عن الإسلام والاتحاد بالمسيح).

أى إننا لسنا أمام مجرد مخطط دقيق التضافر، متفاوت الوضوح والأحابيل، قد صيغت أبعاده منذ عام (١٩٦٥م) فى المجمع المسكونى الثانى، لاقتلاع الإسلام وتنصير المسلمين، إنما نحن فى مواجهة ذروة احتدام هذا المخطط الذى تم إعلانه على الملأ، والذى وضع حدًا زمنيًا لتنفيذه، وثمنا ماديًا فى المقابل قد يجذب بكل أسف العديد، ممن أثقلت كاهلهم معاناة الفاقة والجهل.

خادم الحرمين الشريفين:

لذلك أتوجه إلى جلالتكم، بكل ما تتبوؤنه من مكانة وسلطان، وبكل ما أنعم الله سبحانه وتعالى به عليكم واستخلفكم فيه ـ فالمال مال الله وكلنا عابرو سبيل ـ إن تتدارسوا موضوع ديون العالم الثالث الإسلامى، والعمل على إسقاطها بأى صورة من الصور تروق لجلالتكم، إما إسقاطها كاملاً، أو من حيث المقابل بالإنتاج، أو العمالة، وما إلى ذلك، أو على الأقل بشرائها وبذلك تكون مديونية العالم الثالث الإسلامى لمسلمين يؤمنون بالله ولا يشركون به أحدًا، لمسلمين لا يستخدمون هذه الديون ولن يستخدموها لإجبارهم على الكفر والشرك بالله.

كما نناشد جلالتكم العمل على صون قدسية أراضى المملكة السعودية، التى أكرمها الله بنزول الإسلام فى رحابها وإقامة بيوته الحرام فيها، والحفاظ عليها من أية تسللات، خاصة بعد أن أصبحت مستهدفة، بصريح العبارة للإيقاع بها فى شَرَكِ عمليات التبشير والتنصير وزرع الكنائس بمختلف الضغوط.

وهنا لا يسعنا إلا أن نذكر جلالتكم، بما أوحى به رسول الله ﷺ عند، وفاته قائلاً: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب». وكانت آخر وصية أوصى بها.

ولا يسع المجال أن نضيف مختلف الصياغات التى ورد بها ذلك الأمر النبوى الشريف، ومنها أنه كان قد قال: «لأخرجن اليهود والنصارى من

جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلمًا» أو «لا يجتمع بجزيرة العرب دينان». فكلها أحاديث تؤكد على ضرورة إخراج اليهود، والنصارى من جزيرة العرب والحفاظ على طهارتها كأرض مباركة لا تقبل الشرك بالله فيها.

وقد قام سيدنا عمر رضي الله عنه بإجلائهم فعلا، فكيف نسمع بعد ذلك لأى فكرة تنقض مثل هذه الوصية الملزمة أو أن تدعو إلى أن نرتد عنها؟!

كما نناشد جلالتكم التنبيه على علماء المسلمين وممثلى المؤسسات الإسلامية بمقاطعة هذا الاحتفال التنصيرى، المقام على شكل الثالوث تمجيدًا له، ذلك الثالوث الذى أدانه الله سبحانه وتعالى فى العديد من آيات قرآنه الكريم.

فالمشاركة ولو بالتواجد تعنى القبول ضمنًا مثلما تعنى التواطؤ صمتًا فى عمليات تحريف وشرك بالله؛ الإسلام برىء منها إلى يوم الدين، خاصة وأن البابا يعتبر المشاركة فى مثل هذه اللقاءات الجماعية، قبولاً، وانتصارًا لمسيحيته المحرفة عما أنزله الله عز وجل على السيد المسيح، ويقوم بفرضها بأساليب تفتقر إلى الصراحة والأمانة.

وأخيرًا وليس آخرًا، نناشد جلالتكم العمل على لَمِّ شمل الإخوة فى الإسلام، أيًا كانت نوعيات الخلافات التى فرضها الغرب المتعصب لتحقيق مآربه التى باتت معلنة بلا أية مواربة، والعمل على اتحاد المسلمين «كالبنيان المرصوص» ليس فى الصلوات الاحتفالية التى لا يعرفها الإسلام (!!) بل ولا حتى دفاعًا عن صلات الرحم، والجوار، والإيمان الواحد، وإنما دفاعًا عن الإسلام الذى استباحوا عرضه ودمه بعد أن رفضوا الاعتراف بنبيه خاتم المرسلين ﷺ.

الحوار والتبشير

«لقاء الحضارات» من العبارات التى تزايد استخدامها فى الآونة الأخيرة بشكل لافت للنظر، فهى عبارة متعددة المعانى لاشتمالها على العديد من المجالات. وتزداد أهميتها إذا ما نظرنا إليها فى إطار المجال الدينى، وخاصة فى إطار ما يطلق عليه «الحوار بين الديانات».

ولقد تزايد اهتمام الغرب بقضية حوار الحضارات عند اكتشافه تماسك الانتماء إلى تراث دينى آخر غير المسيحية، وأهمية هذا الانتماء، بالنسبة للأشخاص أنفسهم. وذلك إلى جانب اكتشافه القوة العددية لأتباع هذه الديانات، وفعالية الديانات الكبرى كمحرك إنسانى، وخاصة الإسلام، وتزايد انتشاره رغم المد الكنسى الوثيق الارتباط بالاستعمار السياسى والاقتصادى، والفكرى، أو الثقافى وخاصة التبشير.

ويرتبط هذا الاكتشاف فى نظر الغرب بقضية أخرى لا تقل أهمية، وإن كانت فى خط مناقض، وهى حرية العقيدة والحق فى الهوية الدينية والثقافية. الأمر الذى فرض على الغرب، وعلى التيار المتعصب فيه، أن يتدبر الموقف فى محاولة للتوفيق بين التبشير بالمسيحية والاحترام الواجب لعقائد الآخرين. وهى من المسائل الأساسية التى قام المجمع المسكونى الفاتيكانى الثانى (١٩٦٥م) بدراستها واتخاذ قرار لا سابقة له فى هذا الشأن وهو: توصيل الإنجيل لكافة البشر!. تلك الصيغة المقتضبة التى أعلنت آنذاك، ولعل أحدًا لم يلتفت إلى حقيقة أبعادها، إلى أن أعلنها البابا يوحنا بولس الثانى صراحة عام (١٩٨٢م) فى مدينة ـ شانت يقب ـ بشمال غرب إسبانيا، أمام ملايين الأتباع، مطالبًا بضرورة تنصير العالم!!

وأثناء انعقاد المجمع عام (١٩٦٤م) قام الفاتيكان بتكوين منظمتين هما: المجلس البابوى للحوار بين الديانات، واللجنة العليا لتنصير الشعوب. وهاتان المنظمتان على اتصال دائم بالعاملين فى بعثات التبشير والحوار الدينى

بالعالم أجمع. وذلك إلى جانب كونهما من أهم الإدارات الفرعية والمنظمات التى تضمها الإدارة البابوية، ومنها: سكرتارية دولة الفاتيكان، والمجالس العليا وعددها (١١)، والمحاكم، والمجالس العامة وعددها (١١) إلى جانب الإدارات الإدارية.

وقد تضافرت جهود كل هذه الإدارات لتسفر عن ذلك المجمع الفاتيكانى الثانى، الذى تمخض بدروه عن العديد من اللجان، والمنظمات، وأهمها لجنة الحوار، ولجنة تنصير الشعوب اللتان تعملان فى تلازم مستمر.

ومن أهم النصوص التى صدرت فيما يتعلق بالحوار مع الديانات الأخرى نصان أساسيان، أولهما هو: الخطاب الرسولى للبابا يوحنا بولس الثانى المعنون «**رسالة الفادى**» الصادر فى ٧ ديسمبر عام ١٩٩٠م، وتم إعلانه يوم ٢٢ يناير ١٩٩١م، ووثيقة «**حوار وبشارة**» المؤرخة فى ١٩ مايو، وتم الإعلان عنها يوم ٢٠ يونيو ١٩٩١م، وهى من إعداد لجنة الحوار والمجلس الأعلى لتبشير الشعوب، وتأتى على مسافة خمسة أشهر من خطاب البابا السالف الذكر.

والعلاقة الموضوعية بين الوثيقتين تكمن فى أن الخطاب الرسولى للبابا يؤكد: ويفرض: أن عملية فداء المسيح قد تمت من أجل خلاص جميع البشر، وهو ما معناه إخضاع جميع البشر لعملية التنصير التى طالب بها عام ١٩٨٢، أما الوثيقة التالية فتعنى اختصارًا كيفية تنفيذ عملية التنصير هذه!!.

وثيقتان تختلفان من حيث السلطة المصدرة لكل منهما، لكنهما متماثلتان حيث الروح التى تحركهما، والأسلوب غير الأمين فى تناول وجهى القضية وهما: الحوار والتبشير. فالخطاب الرسولى بحكم صدوره عن البابا وكل ما يؤول إليه من سلطات، يتناول كافة الموضوعات المتعلقة بالبعثات التبشيرية ويلزمها مثلما يلزم كافة الأتباع. أما وثيقة «حوار وبشارة» فقد أعدتها عدة لجان مشتركة بناء على توجيهات البابا وتخص العاملين الذين

لهم دور قيادى فى عمليات التبشير، ولا تتناول سوى نقطتين جوهريتين: الحوار، والتبشير.

ويقول الكاردينال أرينزى، رئيس المجلس البابوى للحوار مع الديانات: إن الإعداد لهذه الوثيقة قد بدأ منذ عام ١٩٨٦. أى إنه قد استغرق خمس سنوات، وإنه قد خضع للبحث الدقيق فى جمعيتين عموميتين للمجلس (١٩٨٧، ١٩٩٠). وإنه بين هذين التاريخين، قد تم إرسال الوثيقة إلى كافة المؤتمرات الرسولية عبر العالم لتتدارسها، وإبداء الرأى فيها، لذلك أعيدت صياغتها أربع مرات، حتى تنعم بكل الملاحظات المجدية، والتى تؤدى إلى إنجاح الغرض منها.

ويضم المجلس البابوى للحوار بين الديانات ثلاثين أسقفًا، وكاردينالاً من جميع أنحاء العالم، وينعقد فى جمعية عمومية كل عامين أو ثلاثة. كما تقوم هيئة من المستشارين، مكونة من خمسين عضوًا، من الضالعين فى العلوم الدينية وفى كيفية إجراء الحوار، يتم التعاقد معهم لمدة خمس سنوات، بإبداء الرأى ودراسة القضايا ليمدوا بها أعضاء المنظمتين. كما يقوم هذا الفريق بالربط بين هذا المجلس البابوى، وكافة الكنائس المحلية، ويمثلون المجلس أثناء انعقاد اللقاءات الخاصة بالحوار.

أما اللجنة العليا لتنصير الشعوب، فمن سلطتها تنظيم وإدارة نشاط اللجنة العليا، وتعاونها مع إرساليات التبشير علي الصعيد العالمى. ويقوم البابا بمباشرة «مختلف اللجان البابوية» ومنظماتها ورؤساء مختلف الدرجات الرهبانية، واللجان والمؤسسات والمنظمات الدنيوية المنتمية للنشاط الإرسالى للتعاون الصادق مع هذه اللجنة.

ذلك لأن هذه الإدارة هى التى تقوم بوضع خطة عقلانية للنشاط العملى، وهى التى تطرح المعايير التوجيهية والمبادئ التى يجب أن تتبناها اللجان الخاصة بالتبشير. اى إنه، يقع عليها القيام بدور أساسى فى خطة

تدبير برامج نشاط الكنائس لكى تمارس عمليات التبشير بأشكالها المختلفة. الأمر الذى يجعلها على اتصال دائم بمختلف إدارات الكرسى الرسولى، وكافة الكنائس المحلية وفرق المبشرين.

وكانت هذه اللجنة تسمى فيما مضى «اللجنة العليا للدعاية». وقد قامت بالفعل بتنظيم النشاط التبشيرى فى مختلف بلدان العالم. أما اليوم فهى تواصل نفس الدور إلى جانب تقديم المساعدات المالية للإدارات المسيحية التابعة لها، وهى (٩٢٣) دائرة كنسية تضم (٨٠٦) إدارات و٦٥ وكالة كنسية و٤٨ مقاطعة كنسية....إلخ. يقع معظمها فى أفريقيا وآسيا (مجلة **رسالة الكنيسة**، العدد ٩٦، ٩٧، ١٩٩٢). وقبل تناول نص الوثيقة، لعله من المفيد أن نلقى بنظرة خاطفة على المشوار التاريخى لعبارة «الحوار» فى المفهوم الكنسى، لنرى كيف أن معناها لم يتغير حتى وإن تغيرت الظروف أو الأسماء، فهو دائماً يعنى على حد قول البابا «فى **رسالة الفادى**»: فرض الارتداد للدخول فى سر المسيح!.

ومن أوائل الذين استعانوا بالحوار فى عمليات التبشير هو «الشهيد» جوستان، المولود فى النصف الأول من القرن الثانى الميلادى، وقد أعدمه الرومان فيما بين (١٦٣ و١٦٧) أيام مارك أوريل. وترك العديد من المؤلفات، منها دفاعان، يناقش فيهما العقيدة المسيحية بالنسبة للعبادات والأساطير اليونانية الشديدة الانتشار آنذاك، وبحث بعنوان: «حوار مع تريفون»؛ وتريفون هذا يهودى يقوم جوستان بشرح التحالف القديم له على ضوء التحالف الجديد فى مفهوم المسيحية.

ومن أهم الشخصيات التى اهتمت بالحوار أيضًا كليمون السكندرى، المولود فى منتصف القرن الثانى الميلادى. وله العديد من المؤلفات ومنها «الثلاثية» التى توجه بها إلى مختلف وثنيى الإسكندرية، و«النسجيات» وهى مكونة من ثمانية أجزاء، والتى يشرح فيها عبر الحوار مع العديد من

الفلسفات اليونانية، والبوذية، والهندية؛ كيف أن المسيحية هى التى تمثل الحقيقة فى نظره. وقد توفى عام ٢١٥م.

أما ريمون لول من جزيرة مايوركا، فقد ولد عام ١٢٣٢ أو ١٢٣٥ وكان يدعى «الرجل الخرافة» ويقدم نفسه على أنه مسيحى عربى. ومن أهم إنجازاته إدخال دراسة اللغة العربية والعبرية فى الجامعات الكبرى بقرار من مجمع فيينا (١٣١١ - ١٣١٢) وكان واسع الاطلاع على الإسلام. ومن أشهر مؤلفاته: «كتاب الوثنى والعلماء الثلاثة». وكتاب «أسماء الله المائة» و«حوار ريمون المسيحى مع حمار العربى».

ويرجع أول مؤتمر للحوار إلى عام ١٥٢٤، وقد أقيم فى المكسيك عقب عدة لقاءات بين أهم اثنى عشر مبشرًا من القساوسة الفرنسيسكان، وبين زعماء ورجال دين من الهنود وقام الفرنسيسكان بعرض العقيدة المسيحية، وبدأ هنود المكسيك بالرفض، ثم المقاومة والاحتجاج ثم انتهى بهم الأمر إلى تقبل قرارات المؤتمر! ولا توضح الوثيقة كيف تم هذا التغيير فى الموقف.

أما الأسقف لويس لانو (١٦٣٦ - ١٦٩٦) النائب الرسولى، فيعد أول من قام بالحوار مع البوذيين. وترك العديد من الكتيبات، الخاصة بالحوار مع رجال الدين البوذى السيامى، أو مع الفلاحين.

وإن كانت تلك الشذرات تمثل نظرة خاطفة حول «الحوار» فى مسيرته التبشيرية قديمًا، فإن المشوار الحديث لهذه العبارة يرجع إلى تاريخ إنشاء «إدارة الحوار» أثناء انعقاد المجمع الفاتيكانى الثانى (١٩٦٢ - ١٩٦٥) وبالتحديد فى ٦ أغسطس ١٩٦٤. ولم تكن الفقرة الخاصة بالحوار مع غير المسيحيين فى الوثيقة المسماة «نور الأمم» سوى بداية المشوار الجديد. تمخض المجمع عن العديد من الوثائق المتعلقة بالحوار، أهمها بيان «علاقات الكنيسة مع الديانات غير المسيحية» (٢٨ أكتوبر ١٩٦٥) ووثيقة «الكنيسة فى عالم هذا العصر» (٧ ديسمبر ١٩٦٥). والبيان الخاص بالنشاط الإرسالى

للكنيسة (٧ ديسمبر ١٩٦٥) والبيان الخاص بـ «حرية العقيدة» الصادر فى نفس التاريخ أيضًا.

وتمثل الوثيقة الأولى نقطة تحول فى تاريخ الكنيسة الكاثوليكية، إذ أنها أول مرة تقوم فيها ببحث العلاقات مع الديانات الأخرى بهذه الصورة الرسمية الموسعة. ويقول الأب بييترو روسانو، أحد أهم محركى هذا النشاط، إن وثيقة «الحوار» هذه، قد أثارت ما يمكن تشبيهه بانهيار سد عظيم! ومنذ ذلك الوقت بالفعل تدفقت الإرساليات التبشرية، كالطوفان الجارف على كل من أفريقيا وآسيا، وتدفقت معها المؤتمرات الهامة لقيادة وتوجيه ذلك الفيض الغامر، ومنها مؤتمر تنجلور بالهند عام (١٩٦٩) وسينودس أساقفة روما (١٩٧٤) المنعقد بالهند؛ ومؤتمر الأساقفة الكاثوليك المنبثق عن لجنة الحوار، عام (١٩٧٧). وقد تم طبع أعمال وبحوث هذا المؤتمر فى مجلد بعنوان: «توجيهات من أجل الحوار الدينى» وهو خلاف الكتاب الذى أصدره الفاتيكان تحت نفس العنوان فى ١٩٦٩/٦/١٥.

ويصعب حصر كل الاجتماعات والندوات التى أقيمت منذ ذلك الوقت تحت نفس مسمى الحوار، من أجل نفس الهدف؛ وهو: الحوار من أجل التنصير.

أما فى اللجان المتعلقة بأفريقيا، فأهم ما أصدره المؤتمر الرسولى لأساقفة شمال أفريقيا عام (١٩٧٩) هو الكتاب المعنون: «معنى لقاءاتنا» والذى يبدو فيه كيف أن مهمة الكنيسة لا تقتصر فحسب على عملية التبشير!.

وفى نفس ذلك العام قام البابا يوحنا بولس الثانى بإصدار أول خطاب رسولى له بعنوان: «**مخلص البشر**» الذى أعرب فيه عن أولى وجهات نظره حول الديانات غير المسيحية، وتحديده العلاقة التى أقامها بين فداء المسيح وكل إنسان على وجه الأرض بلا أى استثناء (البند رقم ١٤ من الوثيقة) وهى غير «**رسالة الفادى**» الصادرة فى ديسمبر (١٩٩٠).

وفى نفس ذلك العام أيضًا ١٩٧٩ قام مجلس الكنائس العالمى بإصدار وثيقة حول الحوار. فمنذ عام ١٩٧١ كان مجلس الكنائس العالمى قد أنشأ قسمًا جديدًا داخل لجنة «الإرساليات والتبشير» لجنة فرعية تحت مسمى «الحوار مع العقائد الحية والأيديولوچيات». كما قامت نفس هذه اللجنة بطبع كتاب بعنوان «**توجيهات من أجل الحوار**» وفى عام ١٩٨٢ أصدرت نشرة بعنوان: «**الإرسالية والتبشير تأكيد عالمى**».

ويأتى بعد ذلك النص الذى نحن بصدده فى هذا البحث وعنوانه المختصر «**الحوار والتبشير**» الصادر عام ١٩٨٤، أما عنوانه الأصلى فهو «موقف الكنيسة الكاثوليكية حيال مؤمنى الديانات الأخرى».

ومن الملاحظ خلال هذا العرض: أنه لم يعد المختصون يتحدثون مستخدمين عبارة «غير المسيحيين» وإنما قد بدأوا يستخدمون بدلا عنها عبارة «مؤمنو الديانات الأخرى»! وذلك كنوع من التقارب بدلاً من الهجوم والسباب.

وفى يونيو ١٩٨٨ وقع تغيير جذرى فى الإدارة البابوية، فكل ما كان يطلق عليه عبارة «سكرتارية» تحول إلى «مجلس بابوى» وبذلك تحول اسم «السكرتارية الخاصة بغير المسيحيين» إلى «المجلس البابوى للحوار بين الديانات»! ولعل هذا التغيير فى حد ذاته يغنى عن أى تعليق فى توضيح أهمية «الحوار» ومعناه بالنسبة للكرسى الرسولى، ولكل ما تتبعه من مؤسسات خاضعة لسلطان البابا ومخططاته.

تتكون وثيقة «**حوار وبشارة**» من تسعة وثمانين بندًا، وهى مقسمة إلى مقدمة (١٢ بندًا) وثلاثة أجزاء (٧٣ بندًا)، وخاتمة (٣بنود). الجزء الأول فيها بعنوان «الحوار بين الأديان» (١٤ ـ ١٥). والثانى بعنوان «التبشير بيسوع المسيح» (٥٥ ـ ٧٦) والثالث بعنوان «الحوار بين الأديان والتبشير» (٧٧ ـ ٨٦). أما الخاتمة فمتضمنة آخر ثلاثة بنود (٨٧ ـ ٨٩).

وقد صدرت هذه الوثيقة فى ذكرى مرور خمسة وعشرين عامًا على صدور وثيقة مجمع الفاتيكان المعنونة «زماننا هذا» حول علاقات الكنيسة مع الديانات الأخرى، والتى توضح أهمية الحوار بين الديانات فى هذه العلاقة القائمة على ازدواجية رهيبة بين القول والتنفيذ، إذ إنها تنص فى نفس الوقت على ضرورة التزام الكنيسة بالتبشير بلا هوادة بيسوع، فهو الطريق والحقيقة والحياة لكل البشر!. أى إن الحوار والبشارة يمثلان وجهى عملة واحدة هى رسالة الكنيسة التبشيرية. وهى مقدمة من اللجنتين المسئولتين عن إعدادها كبرنامج ومنهج عمل للكنيسة العالمية. أى لكافة الكنائس المحلية.

وتوضح الفقرة الرابعة من المقدمة «إن سرعة وسائل الاتصال، وتحرك الشعوب، وتداخلها أوجد نوعًا من الوعى الجديد بالتعددية الدينية فالديانات الأخرى لم تعد تكتفى بالتواجد ببساطة، أو ببقائها صامدة، بل فى بعض الأحيان تعرب عن صحوة جديدة، فمازالت تلهم وتؤثر على حياة الملايين من أتباعها، ففى الإطار الحالى للتعددية الدينية لم يعد من الممكن تناسى الدور الهام الذى تلعبه التقاليد».

ويوضح القسم الثانى من البند الرابع نفسه: إن عملية ممارسة الحوار والتبشير مازالت تتعثر وتتردد فى بعض المناطق، لأن ذلك يرجع إلى أهمية عدد الجالية المسيحية، وإلى هوية التقاليد الدينية القائمة وإلى العديد من العوامل الأخرى الثقافية والاجتماعية والسياسية.

بينما يشير البند السابع من هذه المقدمة: إلى أن هذه الوثيقة مقدمة لأتباع الكاثوليكية، ولبقية أتباع الكنائس الأخرى لتوحيد الجهود. لذلك تنتهى المقدمة بتوضيح دلالة بعض العبارات الأساسية التى ترد طوال النص وهى:

١ - التبشير : وهى عبارة لها أكثر من معنى، ومنها: «توصيل النبأ السعيد إلى الإنسانية جمعاء، وتغيير أعماق الإنسان بواسطتها»؟ وقيام الكنيسة

بفرض «الارتداد بواسطة الطاقة الإلهية للرسالة التى تبلغها للأفراد والجماعات، والنشاطات التى ينتمون إليها وطريقة حياتهم والأوساط المحددة التى يعيشون فيها» و«التبشير صراحة وبوضوح وبلا مواربة بيسوع المسيح».

٢ - **الحوار:** تتسم هذه العبارة بعدة معان أيضًا، أولاً: من الناحية الإنسانية تعنى؛ الاتصال المتبادل بغية تحقيق هدف معين، كما تشير إلى اتخاذ موقف محدد من الاحترام والصداقة الذى يجب أن يتسم به كافة نشاطات إرسالية التبشير؛ أى ما يسمى بروح الحوار. أما المعنى الثالث فهو «**مجمل العلاقات بين الأديان، الإيجابية والبناءة، مع أفراد وجماعات العقائد المختلفة بغية مزيد من التعارف والإثراء مع الطاعة الكاملة للحقيقة واحترام حرية كل فرد**».

٣ - **البشارة:** تعنى توصيل الرسالة التبشيرية وسر الخلاص الذى حققه الله للجميع فى يسوع المسيح بقوة الروح القدس. إنها دعوة للانتماء العقيدى بيسوع المسيح، دعوة للدخول فى جماعة الكنيسة عن طريق التعميد. ويمكن القيام بذلك على الملأ، ويمكن أن يستمر سرا فى صيغة حوارات خاصة... إن البشارة هى أساس ومركز وقيمة التبشير.

٤ - **الارتداد:** «إن فكرة الارتداد تتضمن دائماً اتجاه الإنسان بالكامل إلى الله. ومن ناحية ثانية، تعنى عبارة الارتداد تغيير الانتماء الدينى وخاصة الدخول فى المسيحية».

٥ - **أديان وتقاليد دينية:** تستخدم هذه العبارات فى الوثيقة بمعنى: جنس، وبمعنى: قياس. وهى تشتمل على الديانات «التى يروق لها الانتساب إلى عقيدة إبراهيم وكذلك التقاليد الدينية الكبرى لآسيا وأفريقيا وبقية العالم».

وتنص الفقرة الأخيرة من المقدمة على أن الحوار بين الديانات، يجب

أن يمتد إلى كافة الديانات وكل أتباعها.

يتكون الجزء الأول من الوثيقة من خمس نقاط هى: تناول مسيحى للتقاليد الدينية. موضع الحوار بين الديانات فى الرسالة التبشيرية للكنيسة. أشكال الحوار. أحكام وثمار الحوار بين الديانات. عقبات أمام الحوار.

وتوضح النقطة الأولى، كيفية تناول التعامل مع الديانات غير المسيحية، وإن ذلك يتطلب معرفة نظرية واسعة بها، وإنه لابد من الالتزام باحترامها لما تتضمنه من بعض القيم الروحية والإنسانية. وكيف أن المجمع الفاتيكانى الثانى قد أوضح وأكد أن يسوع ـ المسيح هو حقيقة متاحة لكل فرد حسن النية، إذ إنه يعمل سرًا فى أعمق أعماقهم على خلاصهم وإدخالهم فى سر الفصح. وإن هذه الحقيقة موجودة فى تلك الديانات الأخرى كبصيص لابد من الاستعانة به. ومن أجل ذلك فإن الكنيسة ترى نفسها مدفوعة للدخول فى حوار للتعاون مع أتباع الديانات الأخرى، وحثهم على التطور من خلال القيم الروحية، والأخلاقية، والاجتماعية، والثقافية، التى يتبعونها حتى تصل بهم إلى الدخول فى سر المسيح. إذ إنه يقع على عاتق الكنيسة تنقية كل بذور العناصر الموجودة مما بها من شوائب سيئة ودفعها للمسيح.

ويستند واضعو هذه الوثيقة: إلى أن الله قد تحالف مع كافة الشعوب وفقًا لما هو وارد فى العهد القديم (سفر التكوين ١ - ١١) وأن ذلك يؤكد أنه لا يوجد سوى طريق خلاص واحد أمام البشرية. لأن يسوع المسيح هو الذى تمثلت فيه رسالة التوحيد الأزلية بصورة جديدة ونهائية لجميع الشعوب.

بل تتمادى الوثيقة فى توضيح كيف أن يسوع تعامل مع غير اليهود وبدأ الحوار معهم، ومنهم السامرية التى حدثها عن ذلك اليوم الذى لم تكن فيه العبادة محدودة بمكان مَّا (يوحنا ٢٣/٤) وأن المعبد الجديد هو «جسد يسوع الذي بعثه الأب بقوة الروح»! وأن ذلك يعنى أن ملكوت الرب قد غزا العالم بشخص يسوع. أى أن الحوار مع الديانات الأخرى ليس نزوة من نزوات

الكنيسة الحالية وإنما هو رسالة مبلغة من الأب، ليتم تطبيقها على كافة الأمم» بما أن يسوع يعلن صراحة، أنه الملك (يوحنا ١٨/٣٣ ـ ٣٧).

وتتناول البنود من (٢٣ إلى ٢٥) ما قد يبدو تناقضا لغير العارفين بنصوص العهد الجديد، سواء فى أقوال بولس الرسول فى خطابه إلى أهل رومية وموقفه مع أهل ليكأونية، إلا أن ذلك فى نظر واضعى الوثيقة يثبت أن هذا يعنى تطبيق الحكمة الإلهية التى وضعها الرب فى يسوع. بل إنهم يزيدون من مزاعمهم ليروا أن ذلك يؤكد أن المسيحية موجودة قبل وجود الجنس البشرى!؟

وذلك هو ما حاول المجمع الفاتيكانى عمله بربط الرؤية المسيحية للتاريخ عبر أعمال الآباء. وكيف تمادى البابا يوحنا بولس الثانى وتخطى رؤية المجمع هذه ليؤكد أن فعالية المسيحية بفضل الروح القدس موجودة فى كافة الديانات الأخرى، موضحاً أن «صلابة إيمانهم هى دليل على روح القدس وتأثيره عليهم بعيداً عن حدود الجسد السرى».

وقد تناول البابا نفس التأكيد فى خطابه الذى أعلنه فى تلك الصلاة الجماعية فى بلدة أسيز (ديسمبر ١٩٨٦) التى دعى إليها ممثلين من كافة الديانات التوحيدية وغيرها، مؤكداً على «أن الروح القدس هو محرك كل صلة صادقة وأنه موجود فى كل إنسان، سواء أكان مسيحيًا أم لا».

ويبرر البابا قوله استنادا إلى أن الإنسانية بأسرها تكون أسرة واحدة، من أصل واحد، إذ أن الله «قد خلق كل الرجال والنساء على صورته، وبذلك فإن مصير الجميع واحد، فلا يوجد سوى خطة خلاص واحدة متمركزة فى يسوع المسيح الذى قد توحد بتجسده بكل إنسان» بلا استثناء وأيا كانت عقيدته الدينية! وأن أية ممارسة دينية تتضمن تواجد يسوع المسيح فى الأتباع الذين لا يعترفون به بعد على أنه منقذهم الوحيد.

وينص البند ٣١ من هذا الجزء الأول على التأكيد بأن الديانات الأخرى

تتضمن بعض «عناصر الرحمة» لا يعنى أن كل شىء بها من ثمار الرحمة، فالخطيئة موجودة فى صورة الشر، وهذه الديانات الأخرى - رغم ما بها من قيم إيجابية - هى انعكاس لمحدودية الفكر الإنسانى الذى يميل إلى اختيار الشر. والتعامل مع الديانات الأخرى لا يعنى أن يغمض المسيحى عينه على ما بها من تناقضات تفصل بينها وبين المسيحية، وذلك يعنى أنه مع الدخول فى حوار - بفكر مفتوح - مع أعضاء الديانات الأخرى يجب على المسيحيين إقناعهم بصورة سليمة بالتأمل فى فحوى ومتناقضات عقائدهم، وعلى المسيحيين أن يتقبلوا أن توجه إليهم الاتهامات».

وتشير ملحوظة تفسيرية حول هذا البند إلى تناول هذه النقطة الحساسة التى تتطلب أن يقوم أتباع الديانات الأخرى بالارتداد عن دينهم واعتناقهم المسيحية لذلك «يتعين على المسيحيين أن يساعدوا مؤمنى العقائد الأخرى على التطهر من تراثهم الدينى لتقبل عملية الارتداد».

أما النقطة الثانية من هذا الجزء الأول التى تتناول موقع الحوار بين الديانات فى الرسالة التبشيرية للكنيسة: فتؤكد علي أن الله هو الذي أراد إقامة الكنيسة بيسوع فى اكتمال الزمان كعلامة وخطة إلهية للخلاص. لذلك تعد الكنيسة سرًا من أسرار الله، وأنها «السر العالمى للخلاص» فهى تمثل بداية الملكوت ونبتته وبذلك فالملكوت جزء لا يتجزأ من الكنيسة لأن الاثنين لا ينفصلان فى شخص يسوع المسيح وعمله.

وينص البند ٣٥ على أن «أعضاء الديانات الأخرى مأمورون بالدخول فى الكنيسة، بمعنى أنها تمثل السر الذى يوجد فيه ملكوت الله» ويقدر استجابتهم لنداء الرب يقوم يسوع المسيح بإنقاذهم. أى «إن رسالة الكنيسة هى تنمية ملكوت الرب ومسيحه، إذ إنها أقيمت لخدمته».

أما فيما يتعلق بالكشف الإلهى فتقول الوثيقة: «إنه يتجلى فى المسيح الذى هو فى آن واحد وسيط واكتمال أى تنزيل». وبذلك فإن الكنيسة دائمة

السعى إلى الكمال فى الحقيقة إلى أن تتم كلمات الله، وذلك لا يتعارض مع المؤسسة الإلهية للكنيسة ولا مع اكتمال التنزيل الإلهى فى يسوع المسيح.

ومن هذا المنطلق يصبح من السهل رؤية كيف يمثل الحوار بين الديانات عنصرا لا يتجزأ من الرسالة التبشيرية للكنيسة. والسبب الأساسى لالتزام الكنيسة بالحوار ليس من قبيل تعلقه بالإنسان فحسب، وإنما لأنه جزء من اللاهوت أيضًا. فقد دخل الرب فى حوار مع البشرية عبر العصور، ليقدم لها الخلاص، والكنيسة تواصل العمل الإلهى بدخولها فى حوار الخلاص مع الجميع.

لذلك كان البابا يوحنا بولس الثانى قد قال فى الجمعية العمومية للمجلس البابوى للحوار بين الأديان، المنعقد عام ١٩٨٤ «إن الحوار بين الأديان أساسى بالنسبة للكنيسة التى يتعين عليها أن تتعاون فى خطة الرب بمناهج تواجدها بالاحترام والحب لكافة الناس.... لأن أتباع يسوع المتجاورين فى حياتهم ونشاطاتهم مع الناس عليهم أن يقدموا لهم الدليل الحق على يسوع، وأن يعملوا من أجل خلاصهم حتى فى الأماكن التى يمكنهم فيها التحدث عن يسوع صراحة» وكان قبل ذلك قد أعلن «إن الحوار يدخل فى مهمة الكنيسة من أجل الخلاص لذلك فهو حوار من أجل الخلاص».

ويشير البند ٤٠ إلى أن هذا الحوار الذى يتم من أجل الخلاص يدفع المسيحيين وغير المسيحيين للتعاون مع روح الرب وقد بعث عالمياً من أجل الجميع.... وعليهم الاستجابة بإخلاص متزايد للنداء الشخصى الذى يوجهه لهم الرب والذى يتم دومًا كما يقول عبر وساطة يسوع المسيح.

وهذا الهدف المحدد «يعنى ارتداد الجميع إلى الرب وذلك هو ما يعطى قيمة ذاتية للحوار» وأثناء عملية الارتداد هذه يتم القرار بالتخلى عن العقيدة الدينية السابقة والدخول فى عقيدة جديدة...... مع مراعاة قرار مجمع «فاتيكان الثاني» من أن كل إنسان عليه البحث عن الحقيقة فيما يتعلق بالرب

وبالكنيسة وعندما يجدها، عليه أن يعتنقها ويخلص لها».

أما النقطة الثالثة: التى تتعلق بأشكال الحوار، فتوضح أنه توجد أربعة أشكال من الحوار بين الديانات وهى:

أ - حوار الحياة: حيث يتجاور الناس فى الحياة ويتقاسمون اهتماماتها، ومشاكلها.

ب - حوار الأعمال: حيث يتم التعاون، بغية التطور الكامل والتحرر الشامل للبشر.

ج - حوار التبادل العقائدى: حيث يقوم الأخصائيون بتعميق فهم ميراثهم الدينى.

د - حوار التجربة الدينية: حيث يقوم أشخاص متعمقون فى تراثهم الدينى بتقاسم ثرواتهم الدينية مع الآخرين، من قبيل الصلاة والتأمل وطرق البحث عن الرب، أو عن المطلق.

ويوضح البند ٤٣ كيف أن البابا يوحنا بولس الثانى قد ألزم كافة الكنائس المحلية بكل أعضائها وأتباعها القيام بهذا الحوار، لكن يجب ألا يقوموا به جميعًا بنفس الطريقة: على أن تساهم هذه الكنائس المحلية بصورة غير مغرضة وموضوعية، وأن تجند نفسها من أجل قضايا حقوق الإنسان، والمطالبة بالعدالة، وأن تشى بعدم العدالة؛ لا من أجل أبنائها، وإنما من أجل أتباع العقائد الأخرى، والمساهمة فى حل المشاكل الكبرى التى تواجه العالم.

أما أهم مجالات الحوار بين الأديان فى نظر واضعى هذه الوثيقة فهى: المجال الثقافى. ذلك أن مفهوم الثقافة أوسع من مفهوم الدين الذى لا يمثل سوى بعدًا بالنسبة لبعض العناصر السلبية فى ديانة أو أخرى. والمسألة جد مركبة إذ يمكن لعدد من الديانات أن يتواجد فى مساحة ثقافية واحدة، فى حين أن الديانة الواحدة يمكنها أن تعبر عن نفسها فى العديد من المجالات

الثقافية المختلفة.

لذلك لابد من حوار ذكى متيقظ، لكى يمكن التقاط القيم الثقافية التى تساعد على تفتح الإنسان فى مصيره التصاعدى. كما يمكن لبعض ملامح الثقافة المسيحية أن تدان من قبل الثقافات المحلية لديانات أخرى، وفى مثل هذه العلاقات المركبة بين الثقافة والدين فإن الحوار بين الديانات فى المستوى الثقافى يكتسب أهمية بالغة إذ عليه أن يتغلب علي هذه العقبات والمصاعب بل والمواجهات والمساهمة فى تطهير هذه الثقافات من كل شوائبها غير الإنسانية.

وتتناول النقطة الرابعة من هذا الجزء الأول أحكام وثمار الحوار بين الديانات. موضحًا كيف أن مثل هذا الحوار يتطلب من الأتباع المسيحيين مواقف متزنة. فلا يجب أن يكونوا شديدى السذاجة ولا شديدى الانتقاد. وإنما أن يدخلوا فى الحوار بكل إيمانهم، ويظلوا ثابتين فيه مؤمنين بأن الحق معهم عن طريق يسوع المسيح الوسيط الوحيد بين الرب والبشر «وعلى المسيحيين أن يتذكروا أن الرب قد لاح بصورة مًا لأتباع الديانات الأخرى، وبالتالى عليهم أن يتفهموا عقائد الآخرين.

لذلك يتعين على المسيحيين الحفاظ على هويتهم وأن يتعلموا كيفية تلقى القيم الإيجابية من تقاليد العقائد الأخرى. فمن خلال الحوار يمكنهم الإقناع، وهزم عقائد مسبقة متأصلة وكذلك تغيير الأفكار المسبقة.

ويوضح الهامش التفسيرى لهذه النقطة كيف أن مثل هذا الحوار ضرورى وعاجل ومثمر للجميع، وإن كان يتسم بالحساسية. لذلك لابد من الشروع فيه بحذر وصدق وتواضع!

أما النقطة الخامسة والأخيرة من هذا الجزء الأول فتشير إلى المصاعب التى يمكن أن تواجه الحوار. لذلك يتضمن البند ٥٢ سردًا بأهم هذه العقبات بالنسبة لمن يقومون بالتبشير وهى:

١ - ألا يكون إيمانهم قويًا بالقدر الكافى.

٢ - ألا يكونوا على دراية كافة بعقائد وممارسات الديانات الأخرى.

٣ - الاختلافات، والتفاوتات الثقافية.

٤ - عوامل اجتماعية سياسية، أو بعض عواقب من الماضى.

٥ - فهم غير صحيح لعبارات من قبيل الارتداد، التعميد، الحوار....إلخ.

٦ - عدم التفهم الذى قد يؤدى إلى اتخاذ موقف دفاعى، أو هجومى.

٧ - عدم الاقتناع بقيمة الحوار بين الديانات، أو اعتبارها مهمة قاصرة على المتخصصين.

٨ - الشك فى دوافع الطرف الآخر فى الحوار.

٩ - تَبَنّى موقف جدلي نضالى.

١٠ - الخلط بين عدم التسامح، والعوامل السياسية والاقتصادية والعرقية.

١١ - بعض ملامح المناخ الدينى الحالى، وتزايد المادية، وعدم الاهتمام الدينى، ومضاعفة أعداد الطوائف. الأمر الذى يؤدى إلى الخلط ويخلق مشاكل جديدة.

وتؤكد الوثيقة: أن مثل هذه العقبات ناجمة عن عدم فهم حقيقة طبيعة الحوار بين الأديان، وهدفه. وأن المطلوب هو الصبر ومزيد من الصبر. لذلك تنص على أنه «**رغم كل هذه المصاعب والعقبات فإن التزام الكنيسة بالحوار ثابت ولا رجعة فيه**».

ويتكون الجزء الثانى من ثمان نقاط هى: الرسالة التى أعطاها الرب بعد بعثه. دور الكنيسة. مضمون البشارة. وجود الروح القدس وقوته. الضرورة الملحة للتبشير. أساليب التبشير. عقبات أمام التبشير. البشارة فى المهمة التبشيرية للكنيسة. ترتكز النقطة الأولى حول الرسالة التى أعطاها

الرب بعد بعثه لإثبات أن الرب يسوع هو الذى أرسل أتباعه للتبشير بالإنجيل عبر الأمم، استنادا إلى الآيات التالية من الإنجيل وهى: «فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً: دفع إلىَّ كل سلطان السماء وعلى الأرض؛ فاذهبوا، وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصتكم به، وها أنا معكم كل الأيام حتى انقضاء الدهر». (متى ١٨/٢٨ ـ ٢٠) «وقال لهم اذهبوا: إلى العالم أجمع: وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها من آمن واعتمد خلص. ومن لم يؤمن يدن» (مرقص ١٦ /١٥ ـ ١٦). «وقال لهم: هكذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغى أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات فى اليوم الثالث وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدءًا من أورشليم. وانتم شهود لذلك» (لوقا ٤٦/٢٤ ـ ٤٨) «لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم، وتكونون لى شهودًا فى أورشليم، وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض» (أ . ع: ٨/١) «كما أرسلنى إلى العالم، أرسلتهم أنا إلى العالم» (يوحنا ١٨/١٧) «كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا» (يوحنا ٢١/٢٠).

ويخرج واضعو الوثيقة من هذه الآيات بتأكيد أن مهمة الكنيسة هى التبشير، وأن هذه هى الرسالة التى تلقتها من يسوع وهى الرسالة التى تلقاها من الآب لتحقيق ملكوت الرب الكائن فى يسوع، وفى البشر حتى وإن كان مازال ينمو نحو اكتماله.

أما دور الكنيسة الذى يمثل النقطة الثانية فينص البند ٥٨ على أن دورها إرسالى وأن «مهمة الكنيسة هى إعلان ملكوت الرب القائم على الأرض فى يسوع ـ المسيح بحياته ووفاته وبعثه كهبة حاسمة وعالمية للخلاص الذى يعمله الرب للعالم أجمع» أى إنه لا يوجد تبشير حقيقى، إن لم يتم الإعلان عن اسم وتعاليم وحياة ووعود وحكم وسر يسوع الناصرى ابن الآب، فالكنيسة هى نبتة الملكوت وبدايته.

وتوضح النقطة الثالثة مضمون البشارة، وهو ما أعلنه بطرس عن بعث المسيح في عيد العنصرة، وأنه فى ذلك اليوم «كان يهود، رجالا أتقياء من كل أمة تحت السماء ساكنين فى أورشليم» (أ.ع ٢/٥) موضحًا أن أسماء الأمم الواردة فى نصوص أعمال الرسل تؤكد عالمية الرسالة واختتم كلامه قائلاً: «فليعلم يقينًا جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذى صلبتموه أنتم ربًا ومسيحًا» (أ.ع ٢/٣٦).

وتستشهد الوثيقة بمختلف الآيات فى محاولة، لإثبات عالمية رسالة يسوع، وكيف أنه بينما كان بطرس يتكلم بهذه الأمور «حل الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة» لدرجة أن الذين كانوا فى صحبة بطرس دهشوا «لأن موهبة الروح القدس قد أسكبت على الأمم أيضًا» (أ.ع ١٠/٤٤، ٤٥). وكيف أن بولس، المدعو رسولاً المفرز لإنجيل الله (إلى أهل رومية ١/٢٠١) قد تقبل «نعمة ورسالة لإطاعة الإيمان فى جميع الأمم (رسالة بولس إلى أهل رومية ١/٥) يكرز بالمسيح مصلوباً» لليهود عثرة ولليونانيين جهالة (الرسالة إلى أهل كورنثوس ١/٢٣). وتتلخص كل رسالة بولس فى العبارة التالية إلى أهل أفسس قائلاً: «لى أنا أصغر جميع القديسيين أعطيت هذه النعمة أن أبشر بين الأمم بغنى المسيح الذى لا يستقصى، وأنير الجميع فى ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور فى الله خالق الجميع بيسوع المسيح لكى يعرف الآن عند الرؤساء والسلاطين فى السماوات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذى صنعه فى المسيح يسوع ربنا» (٣/٨-١١). وذلك لأن الله «يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع» (الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ٢/٤ـ٦).

أما فيما يتعلق بالنقطة الرابعة التى تتناول تواجد الروح القدس وقوته، فتستند إلى خطاب رسولى للبابا بولس السادس كان قد أصدره عام ١٩٧٥

عقب مجمع الأساقفة لتبشير العالم الحديث المنعقد عام ١٩٧٤.

بينما تعتمد النقطة التى تتاول الضرورة الملحة للتبشير فتعتمد على نفس وثيقة البابا بولس السادس حول «تبشير الإنجيل» قائلاً: «إن تقديم الرسالة التبشيرية ليست مساهمة اختيارية بالنسبة للكنيسة، إنه الواجب الذى يقع عليها بأمر الرب يسوع حتى يمكن للبشر أن يؤمنوا وينقذوا. نعم هذه الرسالة ضرورية إنها فريدة. ولا يمكن استبدالها. ولا تتقبل أية لا مبالاة، ولا أية تلفيقية، ولا أى مواءمة. إنها متعلقة بخلاص البشر» (الفقرة ٥). أما الإلحاح على الإسراع فى التبشير، فيستند إلى نفس وثيقة البابا هذه وإلى الرسالة الأولى لبولس إلى أهل رومية قائلاً: «فكيف يدعون بمن لم يؤمنوا به وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به. وكيف يسمعون بلا كارز؟.... وهكذا يولد الإيمان بالتبشير والتبشير يتم بكلمة يسوع» (١٠/١٤ وما بعدها).

أما البند ٦٧ الذى تنص الوثيقة من خلاله على التبشير بالخلاص فى يسوع فهو مأخوذ من وثيقة «إلى الأمم» وهو القرارا الذى أصدره مجمع الفاتيكان الثانى حول النشاط الإرسالى للكنيسة الصادر فى ١٩٦٥/١٢/٧ ويقول هذا الجزء من القرار الفاتيكاني: «أينما فتح الله مجالاً حرًا للتبشير لإعلان سر المسيح، يجب تبشير الناس بتأكيد ومثابرة بالله الحى وبمن أرسله لخلاص الجميع، يسوع المسيح، لكى يؤمن غير المسيحيين بعد أن يكون الروح القدس قد فتح قلبهم فيرتدوا طواعية إلى الرب ويتعلقوا به بإخلاص بما أنه «الطريق، الحقيقة، والحياة» (يوحنا ٦/١٤) الذى يغطى كل تطلعاتهم الروحية، بل يتعداها بصورة لا نهائية.

أما أساليب التبشير فإن الكنيسة تتبع فيه «العلم التربوى الإلهى» أى إنها تتبع خُطى مدرسة يسوع نفسه. فقد أعلن لسامعيه عن ملكوت الرب تدريجيًا، وبعناية فائقة، لذلك سيكون تبشير الكنيسة تدريجيًا وبصبر فى آن واحد، متخذين هيئة الذين يسمعون الرسالة، محترمين حريتهم، بل وبطئهم فى الإيمان»! فيجب أن يكون التبشير مؤكداً مدعماً بقوة الرب. مخلصاً فى نقل تعاليم يسوع المحفوظة فى الكنيسة، على أن يتم ذلك بتواضع وباحترام لتواجد فعل روح الله فى قلوب الذين يسمعون، ومن خلال الحوار، فهو الذى سيحرك البذور الكامنة فى قلب المستمع وتدفعه إلى الدخول فى سر الخلاص الكامل بيسوع وذلك بغرس البشارة فى ثقافة المستمعين، وفى تراثهم الدينى وكذلك فى الأرضية الثقافية لأى منطقة، بل والعمل على إدخال هذه الثقافات فى حياة الكنيسة، حتى تصبح البشارة هى الرد المقنع لكل تطلعاتهم الدفينة، أى إنها تكون النبأ السعيد الذى ينتظرونه فعلاً».

أما النقطة السابعة، التى تتحدث عن العقبات التى تواجه التبشير فتنقسم إلى جزئين: جزء خاص بعقبات توجد لدى المسيحيين، أى عقبات داخلية، وعقبات لدى الجماعة غير المسيحية، أى عقبات خارجية.

وتتلخص العقبات الداخلية، فى عدم توافق أقوال من يقوم بالتبشير بأفعاله، أو إغفاله القيام بالتبشير إهمالاً، أو خجلاً منه، أو من أفكار خاطئة فى ذهنه، ومن عدم تقدير المسيحى واحترامه لعقائد الآخرين، أو اتسامه بالتعالى فى المجال الثقافى، الأمر الذى قد يفهم منه أن المسيحية قاصرة على ثقافة بعينها.

أما العقبات الخارجية فهى، رسوخ الميراث التاريخى إذ أن محاولات المبشرين السابقة، قد تركت آثاراً سيئة لدى أتباع الديانات الأخرى؛ خشية اتباع الديانات الأخرى من أن يؤدى التبشير إلى ضياع دينهم وثقافتهم؛ مفهوم مغاير لحقوق الإنسان والذى قد يؤدى إلى المساس بحرية العقيدة؛ الاضطهاد

قد يجعل التبشير مستحيلاً؛ توحد دين معين بالثقافة القومية أو بنسق سياسى معين يؤدى إلى مناخ غير موات؛ بعض القوانين التى تحرم الارتداد أو المصاعب التى يلقاها من تم تنصيرهم؛ الخطورة الناجمة عن مناخ الديانات والذى يؤدى إلى اللامبالاة والنسبية والتلفيقية. وينتهى هذا الجزء الثانى من الوثيقة بالبشارة فى المهمة التبشيرية للكنيسة بتوضيح الفرق الجوهرى فى مفهوم التبشير الذى كان البعض قديماً يتصور أنه مجرد الدعوة لاعتناق المسيحية. مجرد دعوة. أما الآن وبعد المجمع الفاتيكانى الثانى (١٩٦٥) فقد تغير المعنى إذ أصبح التبشير عملية إلزامية للجميع، والتنصير عملية مفروضة على العالم أجمع: «**التبشير سيعتبر دائماً كأساس ومركز وقمة للإعلان بوضوح وحيوية أن يسوع المسيح ابن الله الذى تجسد إنساناً، ومات وبُعث يقدم الخلاص لكل الناس هبة ورحمة من الله**» وقد تمت صياغة وثيقة المجلس البابوى للحوار بين الأديان عام ١٩٨٤ استناداً إلى هذا المعنى أيضاً، وأنه يمثل جزءاً لا يتجزأ من مختلف العناصر المكونة للرسالة التبشيرية الكنسية.

لذلك تعتبر الوثيقة مهمة التبشير ودعوة كافة البشر للدخول فى سر المسيح، وأن يصبحوا أتباعاً للكنيسة، مهمة مقدسة ولا يمكن للكنيسة أن تتخلى عنها أو تهمل فيها. وينتهى البند ٧٦ وهو آخر بنود الجزء الثانى بما يلى: «من الواضح إذن: أنه فى المواقف التى يصبح فيها التبشير مستحيلاً لأسباب سياسة أو غيرها، فإن الكنيسة تقوم بالفعل بمهمتها هذه، لا من خلال تواجدها فحسب، وإنما من خلال نشاطاتها مثال اهتمامها بالتطور الإنسانى الكامل والحوار نفسه. ومن ناحية أخرى، ففى المواقف التى يمكن للناس أن يستمعوا فيها إلى رسالة الإنجيل ويستجيبوا لها، فإنه من واجب الكنيسة أن تذهب للقاء تطلعاتهم».

أما الجزء الثالث والأخير من هذه الوثيقة فيجمع بين الجزئين السابقين، أى الحوار بين الديانات والتبشير، وهو يتكون من خمس نقاط

مقتضبة توضح كيف أن هذين المجالين من العناصر الأساسية لرسالة الكنيسة التبشيرية وهما شرعيان وضروريان ومن المهام المميزة للكنيسة المحلية ولكل فرد، على أن تتم ممارستها «وفقاً للظروف المحلية لكل كنيسة ولكل مسيحى» «كما أنها تتضمن دائماً انتباها مًّا للأبعاد السياسية والثقافية والدينية للموقف..... الأمر الذى يتطلب تمييزاً مبنيًا على الصلاة والتأمل اللاهوتى حول معنى مختلف التراثات الدينية وفقاً لخطة الرب».

لذلك تدعو الوثيقة وتشجع «**كل المؤسسات وكل الحركات ذات الطابع الدينى أن تلتقى، وأن تتعاون وتتطهر حتى يمكنها نشر الحقيقة والحياة، القداسة والعدل، الحب والسلام، وهى أبعاد ذلك الملكوت الذى سيقوم المسيح بتقديمه للآب فى آخر الزمان**».

وذلك يعنى «أن يتم الحوار والبشارة، التى تهدف إلى توجيه البشر لاعتراف ضمنى بما فعله الرب للجميع، رجالاً ونساءً فى يسوع المسيح ودعوتهم، ليصبحوا أتباعاً ليسوع بأن يصبحوا أعضاء فى الكنيسة».

وينص البند ٨٢ مرة أخرى على «**أن جميع المسيحيين يقع عليهم، أن يكون كل شخص فيهم متورطاً فى هاتين الطريقتين لإتمام الرسالة الوحيدة الكنسية، وهما: البشارة والحوار**» ومن أجل ذلك يتعين «على المسيحيين أن يعمقوا إيمانهم ويطهروا مواقفهم، ويوضحوا لغتهم وأن يمارسوا عبادتهم بصدق متزايد».

وإذا ما طالعنا كافة العناوين الفرعية لهذا الجزء الثالث والأخير وقرأناها تباعاً سنجد نفس الرسالة المبلغة عبر الوثيقة، وهى: «**رسالة الكنيسة، يجب أن تكون حذرة لمختلف الظروف، لأن رسالتها تمتد إلى الجميع، من خلال الحوار، والبشارة، كوسيلتين، لإتمام نفس الرسالة، فالحب يتطلب المشاركة، تحت قيادة الروح القدس، ووفقاً لمثال يسوع، الذى ضحى بنفسه من أجل الإنسانية بأسرها**».

وهنا لابد من إشارة عابرة حول نشأة كيان الكنيسة برمتها وأن يسوع هو الذى قال «طوبى لك يا سمعان بن يونا (وسمعان هو بطرس كما يبدو من الآية السابقة). إن لحماً ودماً لم يعلن لك، لكن أبى الذى فى السماوات. وأنا اقول لك، أيضاً: انت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها (متى ١٦/ ١٧ - ١٨).

ولا يسعنا إلا أن نورد الآية الأخرى التى ترد بإنجيل مرقس، إذ يقول: **«فانتهر بطرس قائلاً: اذهب عنى يا شيطان لأنك لا تهتم بما لله ولكن بما للناس»** (٨/ ٣٣). وهذا التناقض حول شخصية (سمعان - بطرس) الذى يقول عنه أحد الأناجيل: إنه الصخرة التى بنى عليها يسوع كنيسته، بينما يصفه إنجيل آخر بأنه شيطان وينهره يسوع لأنه لا يهتم بما لله، ليس إلا نموذجاً من مئات بل من آلاف المتناقضات التى يذخر بها الإنجيل بعهديه، والذى مازال البابا يوحنا بولس الثانى يصر فى كل خطبه الرسولية وفى كتاب التعليم الدينى الجديد الذى أصدره عام ١٩٩٢ على أنها نصوص «**منزلة**» ويحاول فرضها على العالم أجمع!!.

أما الخاتمة فهى عبارة عن صفحة واحدة مكونة من ثلاثة بنود، تبدأ بتوضيح أن الديانات المختلفة تختلف فيما بينها. لذلك لابد من الاهتمام بطرق مختلفة باتباع كل دين على حدة، لذلك لابد من القيام بدراسات معينة، مع مراعاة كل دين فى إطار مجاله الجغرافى المحدد، ومضمونه الاجتماعى الثقافى، ويمكن إسناد هذه الدراسات إلى اللجان المختصة وإلى المعاهد اللاهوتية والرعوية.

إن الحوار والبشارة مهام صعبة لكنها صارت ضرورة مطلقة. لذلك **«يتعين على كافة المسيحيين الاستعداد بشكل أفضل لتحقيق هذا الانتماء المزدوج... وألا يكف الجميع عن الصلاة ليساعدهم الروح القدس وأن يكون الملهم الحاسم لنجاح مخططاتهم ومبادراتهم ونشاطهم التبشيرى»**.

عيد العنصرة (١٩ مايو ١٩٩١ م).

توقيع: فرانسيس كاردينال أرينزى، رئيس المجلس البابوى للحوار بين الأديان؛ جوزيف: كاردينال تومكو رئيس اللجنة العليا لتنصير الشعوب.

إن نص هذه الوثيقة من الوضوح، بحيث إنها ليست بحاجة إلى أى توضيح أو حصر لنقاطها الأساسية، فالأمر لم يعد يترك أى مجال للشك، أو التخمين، أو حتى لافتراض أى بصيص من حسن النية: فتنصير العالم بات أمراً يتم تنفيذه بالفعل منذ اتخاذ هذا القرار فى المجمع الفاتيكانى المسكونى الثانى عام ١٩٦٥ وعلى حد قول كافة الوثائق التى تتناول هذا الموضوع: إن تنصير العالم هو قرار لا رجعة فيه، ويتم فعلاً، وباستخدام كافة الكنائس المحلية، بل ويقع على عاتق كافة المسيحيين، شريطة أن يتم تدريجيّاً وبعناية فائقة وصبر طويل.

وإنما الأمر اللافت للنظر هنا هما قضيتان إجماليتان، الأولى هى: تغيير فى الموقف من الناحية العملية فى التبشير، أى أنها لم تعد تتم عن طريق فرق المبشرين والمستشرقين فحسب، وإنما أصبحت تقع على عاتق كافة أتباع المسيحية أيًا كانت انقساماتهم العقيدية، مع تغيير الأسلوب القائم على التجريح، والسب، والسخرية، وتحريف معنى القرآن والسنة، حيث إنه أسلوب قد ثبتت عدم فعاليته على مر القرون، فالإسلام ينتشر بثبات ورسوخ. وأصبح الاعتماد على الدراسة والتحليل والبحث عن منافذ للتسلل من خلالها بالتدريج هو القانون الجديد، مع تفادى المناقشات الجادة والمواجهات، والتلفع بمسوح الود والاحترام حتى يتم الاغتيال. وذلك أمر ليس بحاجة إلى تعليق أيضاً، فليجاهد المتعصبون كما شاءوا، فما من مسلم إلا ويؤمن بأن: لا إله إلا الله. وأن الدين عنده هو الإســــلام، وأن الله هو الذى أنزله وهو حافظه.

أما القضية الثانية: والتى تستوجب الرد والتعليق، فهى استمرار

المتعصبين فى الكرسى الرسولى - بكل مؤسساته - فى عملية تحريف النصوص الإنجيلية لإثبات صحة أقوالهم وأفعالهم، بغية إقناع أتباع الكنيسة - أينما كانوا - والاستعانة بهم فى تنفيذ مخططاتهم. وذلك دون أدنى اهتمام بما يعتمل فى نفسية أتباعهم، ولا بالمعاناة التى يفرضونها عليهم بجعلهم يعيشون ويتعاملون بوجهين إلى جانب ما يعانونه من اهتزاز إيمانهم بدين لايزال يتم تحريفه تحت أعينهم.

ويستشهد واضعو الوثيقة، لإثبات مزاعمهم، بأن الله هو الذى يطالبهم بعملية تنصير العالم (بسفر التكوين الإصحاح الأول الآية ١١) وتقع هذه الآية فى الفقرة الثالثة من الإصحاح التى تتحدث عن خلق الأرض. فالآية التاسعة والعاشرة عن إظهار اليابسة، عن الأرض والبحار، والآية التالية فى هذه الفقرة والتى هى برقم (١١) عن إنبات الأرض، إذ تقول الآية: «وقال الله لتنبت الأرض عشباً وبقلاً يبرز بروزاً وشجراً ذا تمر يعمل ثمراً كجنسه بذره فيه على الأرض»!. أى إن الآية لا تشير إلى أى تحالف بين كافة البشر، كما يزعم واضعوا الوثيقة، ولا إلى ضرورة تنصير هؤلاء البشر، فالبشر لم يكن موجوداً آنذاك ولم يأت ذكر خلقه، إلا فى الفقرة السادسة، بعد خلق الليل والنهار وخلق الطير وذوات الأنفس الحية، وبعد خلق البهائم والدابات والوحوش! وعندئذ، قال الله فى (الآية: ٢٦): «نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا». كما أن الآية الثانية عشرة، أى تلك التى تلى الآية التى نحن بصددها تقول، بعد خلق العشب والبقل والشجر: «فأخرجت الأرض عشباً وبقلاً يبرز بروزاً كجنسه وشجراً يعمل ثمراً بذره فيه كجنسه». أى إنها تؤكد معنى الآية الحادية عشرة الخاصة بإنبات الأرض، ولا علاقة لها بالبشر، ولا بتنصيرهم. فالإنسان لم يكن قد تم خلقه بعد وفقاً لما يقوله الإنجيل الذى يستشهد به المحرفون. ولا نرى كيف فهموا منها «أن الله قد تحالف مع كافة الشعوب» وفقاً لما هو وارد فى العهد القديم (سفر التكوين ١/١١)؟

ويزعم واضعو الوثيقة: أن يسوع هو أول من بدأ عملية الحوار مع غير

المسيحيين ومنهم السامرية، التى حدثها عن ذلك اليوم الذى لن تكون فيه العبادة محدودة بمكان ما، وإن المعبد الجديد هو جسد يسوع الذى بعثه الله مستشهدين بإنجيل يوحنا (٢٣/٤).

وبالرجوع إلى هذا الجزء من الإصحاح نجد: أنه يتحدث عن تغيير مكان العبادة وأنه سيأتى اليوم الذى «لن يكون محور العبادة والسجود لا فى هذا الجبل (ويقصد الجليل شمالا) ولا أورشليم تسجدون للآب»، ولا توجد أى إشارة إلى جسد يسوع هو المعبد الجديد، بل إن هذه الآية من الإشارات الواضحة الدالة على انتقال محور الرسالة إلى مكة المكرمة وترتبط بكل الآيات المتناثرة فى الإنجيل بعهديه حول مجيئ سيدنا محمد ﷺ، ولا ترد أى إشارة فى هذا النص عن أن المعبد الجديد هو «جسد يسوع».

كما نخرج من هذه الآية (يوحنا ٢٣/٤) بأن الصلاة أيام السيد المسيح كانت سجودا لله سبحانه وتعالى، ومن الواضح أنه تم تغييرها فى المجامع لإبعاد أى تشابه مع الإسلام.

وهذه الآيات من (٢٤ : ٢٦) بالإصحاح الرابع لإنجيل يوحنا بحاجة إلى وقفة أخرى لها مغزاها فاليهود يبغضون السامريين ولا يتعاملون معهم، ومع ذلك وقف يسوع يحدث السامرية، بل لقد باح لها بما لم يتفوه به لأحد من أتباعه.

وعلى الرغم من أن اليهود والسامريين يعبدون نفس الإله ويطلقون عليه نفس الاسم: يهوه، ويتبعون سفر التثنية، وأسفار موسى الخمسة، إلا أن الخلاف بينهم ينصب فى أن الله فى نظر السامريين قد لاح لموسى على جبل جريزيم، وليس على جبل صهيون كما يزعم اليهود. أى إن الخلاف عقيدى من حيث نزول الرسالة. كما أن السامريين لا يؤمنون ببعث الموتى، مثلهم مثل الصادوقيين، وهم ملتزمون بأسفار موسى الخمسة التى لا يرد بها أى ذكر للبعث. بل إن السامرين يعتبرون داود مرتداً لأنه أقام مركز العبادة فى

أورشليم، لذلك استبعدوا اسمه من نص العهد القديم الخاص بهم.

ومن الغريب: إذن أن نرى يسوع يتحدث مع سامرية بل الأدهى من ذلك أنها سامرية زانية لها خمسة أزواج، وتعيش مع آخر ليس زوجها، أى إنها زانية عاهرة، ثم نراه ينبئها بما لم يتفوه به لأى فرد من حوارييه؛ إذ إنه ينبئها بأنه المسيح المنتظر: «قال لها يسوع أنا الذى أكلمك هو» (يوحنا ٤/٢٦). والجدير بالذكر، أن هذه هى المرة الوحيدة التى يرد فيها هذا الكشف عن حقيقة يسوع - وفقاً لأقوالهم - فى الأناجيل المعتمدة ولعل تلك الواقعة هى التى جعلت آباء الكنيسة يترددون عدة قرون قبل اعتبار إنجيل يوحنا من الأناجيل المعتمدة.

ولا نقول شيئا حول مصداقية هذه الواقعة برمتها، إذ يقول يوحنا فى (الآية ٤) من نفس هذا الإصحاح: إن تلاميذ يسوع «كانوا قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا طعاماً»! أى إن يسوع كان بمفرده مع السامرية...... فمن أين ليوحنا بهذه المعلومة، خاصة أنه يقول فى بداية إنجيله إنه شهد ما حدث، ومن المعروف والثابت وثائقيًا أنه لم ير يسوع وأن هذا الإنجيل قد كتب فيما بين عام ٩٠ و١٤٠؟

ولم نشر إلى هذه التفاصيل إلا لورودها ضمنًا فى الآية التى يستشهد بها واضعو الوثيقة من ناحية، ولكى نوضح، من ناحية أخرى، بعضا مما يذخر به العهد الجديد خاصة من تحريف وتلاعب، وكل الذى لا يزال يتضمنه من متناقضات نتيجة لذلك، لا تؤدى إلا إلى مزيد من الهجرة الصامتة للأتباع ولقيادتها العالمة ببواطن الأمور.

ويستند واضعو الوثيقة بتلفيقة أخرى حينما يقولون: «إن يسوع يعلن صراحة أنه الملك» (يوحنا ١٨/٣٣ -٣٧). ولا داعى لإضافة أن هذا الزعم يتضمن تحريفاً جديدًا لنصوص الإنجيل فالمعروف لدى الجميع - وفقاً لما كتبوه وظلوا يرددونه لمدة ألفى عام تقريباً - أن يسوع قد رفض ذلك ولم يعلنه

كما يزعمون.

إذ تقول الآيات: «ثم دخل بيلاطيس أيضاً، إلى دار الولاية ودعا يسوع وقال له أنت ملك اليهود. أجابه يسوع أمن ذاتك تقول هذا، أم آخرون قالوا لك عنى. أجابه بيلاطيس العلى أنا يهودى أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك إلى. ماذا فعلت. أجاب يسوع: مملكتى ليست من هذا العالم لو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى يجاهدون لكى لا أسلم إلى اليهود ولكن الآن ليست مملكتى من هنا فقال له بيلاطيس أفأنت إذا ملك أجاب يسوع أنت تقول إنى ملك».

ولا نعتقد أن رد المسيح، يمكن أن يعنى أى شىء آخر سوى رفضه بأن يكون ملكاً. ولا ندرى كيف فهمها المحرفون على عكس ما تقول الآية.

وتنص الوثيقة على: أن الديانات الأخرى «انعكاس لمحدودية الفكر الإنسانى الذى يميل إلى اختيار الشر» وأنه لا يجب على المسيحى «أن يغمض عينيه على ما بها من متناقضات تفصل بينها وبين المسيحية». وهنا لا يسعنا إلا أن ندعو واضعى هذه الوثيقة إلى تأمل «فحوى المتناقضات» التى فرضوها هم على رسالة التوحيد. فالتسلسل التاريخى المعروف للجميع، وخاصة لدى متعصبى الكرسى الرسولى، أن رسالة التوحيد واحدة لا لبس فيها، وأنها نزلت فى الوصاياالعشر على موسى عليه السلام، وحينما انحرف اليهود، وعادوا للوثنية وقتل الأنبياء، أتى السيد المسيح عليه السلام من أجل خراف إسرائيل الضالة.

وهذا الانحراف عن العقيدة يؤكده بولس الرسول فى رسالته الأولى إليأهل رومية إذ يقول: «ماذا يقول الكتاب فى إيليا كيف توسل إلى الله ضد إسرائيل قائلا: يارب قتلوا أنبياءك وهدموا مذابحك وبقيت أنا وحدى وهم يطلبون نفسى» (١١/٢٠٣). وحينما انحرف المسيحيون عن رسالة التوحيد وأشركوا بالله سبحانه وتعالى، وقاموا بتحريف النصوص وهم يعلمون؛ أنزل الله رسالة التوحيد للمرة الثالثة والأخيرة على سيدنا محمد ﷺ، خاتم

النبيين وخاتم الرسالات.

ومن غير اللائق، لكى لا نقول من العار أن يواصل واضعو هذه الوثيقة استخدام التهم الماضية التى ألصقوها بالتنزيلين التوحيديين الآخرين وخاصة الإسلام، فى الوقت الذى يتشدقون فيه بعبرات من قبيل ضرورة «احترام» الطرف الآخر والتزام«الصدق» فى التعامل!

ويستشهد واضعو الوثيقة بأن السيد المسيح قال لأتباعه: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس»..... إلخ (متى ١٨/٢٨ ـ ٢٠). وهذه الآيات بالذات من الآيات التى تمت إضافتها على النص الإنجيلى بغية إضفاء مصداقية لعملية التحريف الخاصة بالتثليث؛ وذلك لأن صيغة التثليث هذه لم تعرف إلا قبل نهاية القرن الثانى، وأن أقدم استعمال لها يرد عند ثيوفيلس الأنطاكى فى كتابه المعنون: «إلى أوتوليكس». وهو من عمليات التحريف التى أدت إلى الانقسامات الجذرية فى العقيدة نفسها. وأهمها تلك الحركة التى قادها آريوس (٢٥٦ ـ ٣٣٦) أسقف الإسكندرية. إذ أن موقفه هذا هو الذى أدى إلى انعقاد مجمع نيقيا الأول عام ٣٢٥ وهو المجمع الذى قام بصياغة عقيدة الإيمان فى شكلها النهائى والمعروف بعقيدة التثليث، أى مساواة الله عز وجل بالسيد المسيح والروح القدس.

كما أن إنجيل يوحنا الذى ترد فيه هذه الآية قد كتب فيما بين سنة (٩٠ و١٤٠) ـ كما يقولون ـ أى بعد المجمع الأول المنعقد فى القدس عام (٥١) الذى تم فيه إقرار التحريفات الجذرية التى قام بها بولس الرسول فى العقيدة المسيحية الأصلية. وإقحام عبارة التثليث فى النص الإنجيلى لا تكسبها أية مصداقية، لأن السيد المسيح لم يكف عن ترديد وتأكيد الفارق الذى بينه وبين الله سبحانه وتعالى.

ومن ناحية أخرى، نطالع فى أعمال الرسل، الإصحاح الثانى الآية (٣٨)

أن التعميد كان يتم باسم يسوع: «وليتعمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح». وبذلك فلا يعرف المرء مَن الأصدق، ما يقوله بولس الرسول أم ما أضافته المجامع من تحريف؟

ويستند واضعو الوثيقة بآية أخرى لإثبات أن الرب هو الذى يطالبهم بالقيام بعملية التبشير هذه، وهى الآية القائلة: «اذهبوا إلى العالم أجمع وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها» (مرقس ١٦/١٥) أولا: من المعروف والثابت تاريخيّاً، أن العهد الجديد برمته قد تمت كتابته بعد وفاة السيد المسيح، وفيما بين عام (٧٠ و١٤٠) بتواريخ مختلفة لكل إنجيل من الأناجيل الأربعة المعتمدة. فكيف يطالب السيد المسيح أتباعه أن يكرزوا بإنجيل لم يكن مكتوباً فى عهده؟ اللهم إن لم يكن السيد المسيح يقصد إنجيله هو الذى كان يكرز به وأخفته الأيادى العابثة لتروج تحريفاتها... الأمر الذى يفتح قضية أخرى ليس هنا مجال تناولها.

كما أن عبارات من قبيل تبشير «الخليقة كلها» أو «كل الأمم» عبارات تكشف عمليات التحريف أكثر مما تؤيد الدعوة إلى التبشير، فلو افترضنا صحتها، أو صحة ورودها فى النص أصلا وهو أمر مشكوك فيه قطعا، فإن معناها قاصر على جمهور الحاضرين أى الإسرائيليين بمختلف طوائفهم، ولا يعنى أنها تمتد لتنطبق على شعوب وقارات لم تكن معروفة للجماعة آنذاك، بل ولم تكن مكتشفة أساساً. الأمر الذى أدى إلى هز العقيدة المسيحية فى القرن السابع عشر من مجرد اكتشاف قارات وحضارات وديانات مغايرة. بل ولعدم ورودَ أسماء من قبيل أمريكا أو أستراليا وغيرها فى نصوص الأناجيل؛ وإنما المقصود بعبارة «جميع الأمم» هذه مختلف أهل بيت إسرائيل، وأسباطه كما هو وارد بأعمال الرسل.

ويستشهد واضعو الوثيقة لإثبات عالمية دور الكنيسة وضرورة قيامها بالتبشير بآية من أعمال الرسل تقول: «فليعلم يقينًا جميع بيت إسرائيل أن

الله جعل يسوع هذا الذى صلبتموه أنتم ربًا ومسيحًا» (٢/٣٦). وأهم ما يلفت النظر فى هذه الآية هو التأكيد على أن اليهود هم الذين صلبوا السيد المسيح، كما ظلت الكنيسة تردد ذلك لمدة ألفى عام تقريباً وفقاً لقول بولس الرسول، ووفقاً للمجامع، ثم قام مجمع الفاتيكان الثانى ١٩٦٥ بتبرئة اليهود من هذه التهمة؟ وهى ليست الآية الوحيدة بالإنجيل التى تؤكد: أن اليهود هم الذين «قتلوا» السيد المسيح.

إذ يقول بطرس الرسول، رئيس الكنيسة الكاثوليكية: «هذا أخذتموه مسلماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق وبأيادى آثمة صلبتموه وقتلتموه» (أ.ع٢/٢٣). ثم يقول للإسرائيليين أيضاً: «....... يسوع الذى أسلمتموه أنتم وأنكرتموه... ورئيس الحياة قتلتموه» (أ.ع ٣/١٣). ويقول لهم أيضاً: «يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان... أى الأنبياء لم يضطهده أباؤكم وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأونا بمجىء البار الذى أنتم الآن صرتم مسلميه وقاتليه» (أ.ع ٧/٥١ ـ ٥٢).

وهذه الآية الأخيرة لا تدل على تسليم اليهود للسيد المسيح وقتله فحسب، وإنما تدل أيضاً، على قتلهم الأنبياء وعن حيدهم عن التعاليم الأولى.

ومن الأمثلة الدالة على تلاعب المسئولين بالفاتيكان بمختلف النصوص وفقاً للأغراض والأهواء تبرأتهم من قتل السيد المسيح ـ كما يقولون ـ وإلقاء تهمة وتبعية مقتله «على الإنسانية جمعاء» وعلى ذلك عاد الفاتيكان وعدل من تهمته وقصرها على كافة المسيحيين!

أما الآيات التى يستشهد بها واضعو الوثيقة لمواصلة إثبات وجوب عملية التبشير، ما يقوله بولس فى رسالته إلى أهل أفسس، والتى تبدأ بعبارة: «لى أنا أصغر جميع القديسين» إلخ (٣/٨ ـ ١١)، وما قاله قبلها فى رسالته إلى أهل رومية من أنه «المدعو رسولا» (١/١) ولن نتناول عملية التبشير وإنما ما يخرج من فحوى هذه الآيات: من أن بولس هو الذى لقب

نفسه رسولاً ثم لقب نفسه قديسًا، ليوضع على لسانه أن يسوع قد «بذل نفسه فدية لأجل الجميع» (الرسالة الأولى إلى تيمواثارس ٢/٤٠٦) ومن الغريب أن يؤكد هذا الرسول القديس فى الآية التالية أنه صادق لا يكذب! «الحق أقول فى المسيح ولا أكذب» (٢/٧)!! ثم نراه يقول فى رسالته إلى أهل رومية: «فإنه إن كان صدق الله قد ازداد بكذبى لمجده فلماذا أدان أنا بعدُ كخاطئ» (٣: ٧) أى أنه يعترف بكذبه فى الدعوة إلى الله! واللهم لا تعليق.

ومن النماذج الدالة على التلاعب بالألفاظ، استخدام أجزاء معينة من الآية الواحدة لإثبات معنى غير المعنى المقصود منها، وذلك مثلما يستشهد به واضعو الوثيقة فى إلحاحهم بالإسراع فى عملية التبشير: «فكيف يدعون بما لم يؤمنوا به وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به. وكيف يسمعون بلا كارز؟... وهكذا يولد الإيمان بالتبشير والتبشير يتم بكلمة يسوع» (رسالة بولس إلى أهل رومية ١٠/١٤).

وبالرجوع إلى الإنجيل لنرى ما تم حذفه وأشاروا إليه بالنقاط الثلاث نجد أن الجزء المحذوف يقول: «وكيف يكرزون إن يرسلوا كما هو مكتوب ما أجمل إقدام المبشرين بالسلام المبشرين بالخيرات» (١٠/١٥) أى أن الآية تنص على التبشير بالسلام وبالخيرات، لكن الأيادى المتلاعبة حذفت العبارتين ليبدو النص وكأنه يشير إلى ضرورة التبشير بالمسيحية!!

ولا تمثل هذه النماذج سوى شذرات جد قليلة من غثاء كثير هو الوثيقة برمتها. لكنا اكتفينا ببضع آيات. لا تزال قائمة فى الكتاب «المقدس» لنضرب مثلاً على استمرار التيار المتعصب فى الكنيسة الفاتيكانية فى تلاعبه بالنصوص وبعقول الأتباع وبالعالم أجمع!

فإصرارهم على أن التبشير ليس بمهمة اختيارية، وإنما «واجب بأمر الرب ورسالة فريدة لا يمكن استبدالها» وضرورة العمل على أن «يرتد المطلوب تنصيرهم طواعية» وأنه «يتعين على الكنيسة أن تتبع العلم التربوى

الإلهى وأن تقتفى خطى مدرسة يسوع فى التبشير تدريجيا وبعناية فائقة وصبر طويل» لا يعنى إلا تناقضاً صارخاً لما يعلنونه ويتشدقون به عن الحرية وحرية العقيدة واحترام الأغيار. بل إنه قول لا يعنى فى واقع الأمر إلا أننا نتعامل مع أناس بوجهين ونصوص بوجهين فى ساحة فرض علينا فيها الجهاد ولا رجعة فيها.

بقيت نقطة أخيرة، لابد من توضيحها. أو التعقيب عليها فى هذه الوثيقة، وهى خشية واضعى هذه الوثيقة على أتباعهم هم! خشيتهم على من يقومون بعملية التبشير ودخولهم فى مناقشات جادة مدعمة بالوثائق العلمية والمكقنعة منطقيًا، مما ينتج عنه تباعد الأتباع بسبب ما سيكتشفونه من تحريف فى نصوصهم الإنجيلية، وبذلك يفقدونهم بدلاً من أن يكتسبوا بهم آخرين؛ وخشيتهم منهم، ممن يقومون بعملية التبشير وهم غير مقتنعين بها، أو غير مزودين باليقين المقنع الكافى «فى مواجهة رسوخ الميراث الإسلامى». الأمر الذى يكشف عن حقيقة موقف أولئك القادة المحرفين «الذين يكتمون الحق وهم يعلمون».

ومما يؤسف له أن نسمع الكاردينال أرينزى، وهو الموقِّع مناصفة على هذه الوثيقة، يتحدث فى الخامس من شهر مايو ١٩٩٥ فى الندوة التى انعقدت بمدرسة سان جورج الإعدادية، بمناسبة مرور سبع وخمسين عاماً على تأسيس جماعة «الإخاء الدينى» بالقاهرة.

نقول من المؤسف أن يتحدث الكاردينال ارينزى، المسئول عن الحوار الدينى فى الفاتيكان، ويتشدق فى هذا اللقاء عن تنمية العلاقات بين الإسلام والمسيحية، وأن هذه التنمية تقوم على «العلاقات الطيبة، والألفة، والتعاطف، والإخاء، ويحترم كل منهما الآخر، ولا يعتدى عليه ولا يظلمه». ثم يطالب القيادات الدينية الإسلامية والمسيحية «بأن تبذل مزيداً من الجهد فى تنمية العلاقات الطيبة بينها، وأن يكون المنطلق هو القاعدة الذهبية المثبتة فى كل الديانات هو العمل للآخرين كما تريدون أن يعمله الآخرون لك»!!؟

نعم، من المؤسف والمخزى فى آن واحد أن يتحدث الكاردينال بهذه الكلمات المعسولة، فى الوقت الذى يقوم فيه فعلا وفى الواقع بالعمل على فرض الارتداد على المسلمين وأمرهم بالدخول فى سر المسيح وفقا لتلك الوثيقة التى صدرت باسمه فى عيد العنصرة فى ١٩ مايو ١٩٩١، بعنوان: «الحوار والتبشير».

ولا نتصور كيف يرى سيادته تنفيذ عبارته القائلة: «وأن يكون المنطلق هو القاعدة الذهبية المثبتة فى كل الديانات هو العمل للآخرين كما تريدون أن يعمله الآخرون لك»؟ كيف يساهم سيادته فى مخطط اقتلاع دين، ويطلب من أتباع هذا الدين المحكوم عليهم بالارتداد عن إسلامهم ألا يردوا إلا بكل خير وود، ألا يمثل ذلك قمة النفاق فى عالم الحيوان، على حد قول النكتة، حينما يقوم الأسد بسؤال فريسته: «آكلك مسلوقاً أم مشويًا»؟!

ويا لها من نكتة مريرة مهينة، حينما تصدر عمن يعتلون أعلى المناصب القيادية، وعمن يزعمون أنهم يتحدثون باسم أحد أنبياء الله الصالحين، أو إحدى شخصيات الله كما يقولون، بعد أن حرفوا ودنسوا أقواله وأفعاله.

وفى نهاية هذا العرض الخاطف المحيط لإحدى الوثائق الكنسية الرسمية الهامة، لا نملك أن نتوجه باللوم إلى الكاردينال أرينزى، رئيس المجلس الباوبوى للحوار بين الأديان، فهو فى ـ نهاية المطاف ـ يقوم بتنفيذ أوامر رئيسه المباشر فى التدرج الوظيفى الكنسى، أى إنه يقوم بتنفيذ أوامر وتعليمات وقرارات البابا يوحنا بولس الثانى. وإنما نتوجه إليه بسؤال حول مقولته فى ذلك اللقاء الذى حضره فى القاهرة وتحدث فيه فى لجنة الإخاء الدينى، فى الخامس من شهر مايو ١٩٩٥ والذى اختتم كلمته بتنمية العلاقات بين المسيحيين والمسلمين، «**وضرورة أن يحترم كل منهما الآخر، ولا يعتدى عليه ولا يظلمه**»!!

ترى بما يسمى كل ما يقوم به ويساهم فيه من محاولات حثيثة وغير أمينة لاقتلاع المسلمين من دينهم، إن لم يكن اعتداءً وظلماً؟!

مجرد سؤال ندعو سيادة الكاردينال أرينزى إلى تأمله والرد عليه، لا بصفته الوظيفية الرسمية، وإنما بصفته إنساناً.... أن يرد عليه من أعماق ذلك الضمير الحى الذى لا يمكن لأى وظيفة أن تخمده؛ وذلك الضمير الحى الذى سيواجه به الله سبحانه وتعالى.

الفهـــارس

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

فهرس المحتويات